

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد بوضياف المسيلة

ميدان: اللغة وأدب العربي

فرع: الأدب العربي

تخصص: نقد أدبي حديث



كلية: الآداب واللغات

قسم: اللغة والأدب العربي

رقم: L15/428

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر اكايمي

إعداد الطالبة: امال بورنان

تحت عنوان

المنهج النقدي في كتاب " يتم النص "
لأحمد يوسف

لجنة المناقشة:

رئيسا	جامعة المسيلة	ا: شبلي خالد
مشرفا ومقررا	جامعة المسيلة	ا.د: عثمان مقيرش
مناقشا	جامعة المسيلة	ا.د: عماري عز الدين

السنة الجامعية: 2017/2016.



الإهداء

أهدي ثمرة جهدي إلى

الوالدين العزيزين ونزوجي الكريم

وإلى نور عيني ابنتي الآء وإخوتي ونروجة أخي

شكر وعرفان

أتقدم بجزيل الشكر والامتنان إلى كل من علمني حرفا عبر كل الأطوار

التعليمية والمهنية وأخص بالذكر أساتذتي بجامعة محمد بوضياف بالمسيلة، كما لا

يمكنني أن أنسى الفضل والعون والتسهيلات التي قدمت لي من طرف زميلاتي في

العمل بكلية العلوم الاقتصادية، متمنية النجاح لكل طالب علم ومراغب معرفة و

أتقدم بشكر خاصة للأساتذة المناقشين .

المقدمة

إن مفهوم النقد الذي اختلف طرائقه عبر الثقافات والحضارات وعلى مر العصور، ولا يجد عاقل ما للنقد والنقاد من عظيم فوائد على الحقل الأدبي وتأثير بالغ على مساراته قديما وحديثا، وسينصب تركيزنا في هذا البحث على النقد العربي المعاصر الذي اصْبَغ بصبغة النقد الغربي الذي أفرز مجموعة من التجارب النقدية الحداثية والجهود التي استحققت البحث والدراسة، فكان لا بد لهذا النقد أن يقف ليستقرى ذاته ويقوم بغرلة لمنجزاته ووصفها وتثمينها وهذه الوقفة هامة وضرورية حتى نبين نقاط ضعفه وقوته، خاصة إذا تعلق الأمر بالنقد في الجزائر الذي مازال بحاجة إلى مثل هذه الدراسات إذ تكاد تخلو ساحة النقد الجزائري من مثل دراسات تثمن ما قدمه النقاد الجزائريون المعاصرون، وإن وجدت فهي قليلة أو تدخل ضمن التعريف ببعض المناهج وبإشارات موجزة، ومن ضمن الأعمال التي تدخل في هذا المضمار ما قدمه يوسف وغليسي للتجربة النقدية عند عبد المالك مرتاض والدراسة التي قدمها مولاي علي بوخاتم ورغم أن مثل هذه الدراسات كرسست أسماء بعينها ونسيت أخرى، فكان يجدر بنا كدارسين تناول هذا الجهد النقدي الذي اصطلح به مجموعة من النقاد المعاصرين الذين تكبدوا عناء الغوص في ما استجد بساحة النقد العربي والغربي وجعلوا من استثمار هذه المناهج النقدية وما حملته من مفاهيم وطرائق في تحليل النصوص الأدبية هدفا لهم، من مثل تلك الجهود الجبارة للناقد محمد مفتاح، ويطالعنا في هذا المجال اسم الناقد الجزائري أحمد يوسف الذي قدم العديد من الأعمال التي تدخل في باب النقد الحداثي موزعة بين كتب ومقالات منشورة، وكان اختيارنا لهذه الشخصية العلمية يعود إلى مجموعة من الدوافع نذكر منها: ما تميزت به كتبه النقدية من عمق في التحليل، وتتبع للجذور الفكرية والخلفيات الفلسفية لأهم المناهج النقدية المعاصرة.

كون الناقد أحمد يوسف من النقاد الذين ولجوا باب النقد الحداثي تنظيرا وتطبيقا، وتعتبر قضية البحث في المنهج النقدي من بين أهم الإشكاليات التي تواجهها ساحة النقد العربي عامة والجزائري خاصة.

حادثة هذا الحقل النقدي، والمعروف بنقد النقد حيث لا نعثر في مجال النقد الجزائري إلا على بعض الأعمال التي تناولت مجموعة من أعلام هذا النقد مثل الدراسة التي قدمها يوسف وغليسي حول الخطاب النقدي عند عبد المالك مرتاض، وقد كانت هذه الدراسات نبراسا لنا نهتدي بها في تقصي المنهج النقدي عند أحمد يوسف الذي حاولنا دراسته من خلال الإشكالية الآتية:

كيف استثمر الناقد أحمد يوسف المناهج النقدية الحداثية على مستوى التطبيق؟ ومن هذه

الإشكالية الرئيسية تولدت مجموعة من الإشكاليات الفرعية هي:

- ما المنهج الذي اتبعه احمد يوسف في دراسته؟
- ما المنطلقات التي انطلق منها في المنهج البنيوي؟
- ما المنطلقات التي انطلق منها في المنهج السيميائي؟
- ما النتائج المتوصل إليها في الدراسة؟

وهذه الإشكاليات يستدعي منا تقسيم الخطة إلى ما يلي:

مدخل ضمناه بعض ملامح النقد الجزائري الحداثي ذاكرين أهم أعلامه ومنجزاتهم

النقدية بإيجاز.

أما الفصل الأول: فعنوانه المنهج البنيوي تنظيرا وتطبيقا حيث تطرقنا فيه إلي مبحثين أساسيين:

المبحث الأول: تناولنا فيه المنهج البنيوي تنظيرا وتطرقنا فيه إلي ثلاث مطالب وهي: المطلب الأول: وفيه مفهوم ونشأة البنيوية في المنهج النقدي، والمطلب الثاني: تناولنا فيه أهم أعلام البنيوية، وفي المطلب الثالث: أهم الاتجاهات البنيوية.

المبحث الثاني: ضم المنهج البنيوي عند الناقد على مستوى التطبيق وفيه تطرقنا إلى المنطلقات المنهجية للناقد والإجراء النقدي الذي إتخذه عند تحليل الشعر الجزائري المعاصر.

وفي **الفصل الثاني**: والمعنون بالمنهج السيميائي تنظيرا وتطبيقا، حيث قسمناه إلى مبحثين المبحث الأول: فحمل عنوان المنهج السيميائي تنظيرا وهو كذلك ينقسم إلى ثلاث مطالب أساسية وهي: **المطلب الأول**: تناولنا فيه مفهوم ونشأة السيميائية، و**المطلب الثاني**: تناولنا فيه أهم أعلام السيميائية، وفي **الأخير المطلب الثالث**: تناولنا فيه اتجاهات ومدارس السيميائية.

وفي **المبحث الثاني**: المنهج السيميائي عند الناقد على مستوى التطبيق حيث رصدنا المنطلقات المنهجية وأهم أدوات التي وظفها في مدارس الشعر الجزائري المعاصر .
وفي **الملحق** عرفنا بالناقد أحمد يوسف مبرزين أهم جهوده النقدية والعلمية والفلسفية.

ثم خالصنا إلى نتائج في آخر الفصل تحدد سمات الناقد المنهجية على مستوى التطبيق وكيفية استثماره للمنهجين البنيوي والسيميائي في التطبيق، واضطرتنا نوعية الدراسة التي تدخل في باب نقد النقد إلى اعتماد المنهج الوصفي، كما حاولنا أن نستعين بالنتائج التاريخية الذي استفدنا منه في ملاحظة الإصدارات النقدية العربية والجزائرية ومقارنتها بما حوته المدونات من مفاهيم خاصة في جانب المصطلح والمرجعيات المعرفية، كما وظفنا المنهج السيميائي وهذا على صعيد تتبع العتبات النصية المتمثلة في عتبة العنوان وعلاقتها بالمضمون معتمدين على كتاب جيرار جنييت (G.Génette) عتبات النص.
وفي غمرة بحثنا هذا واجهتنا بعض الصعوبات متمثلة في ضيق الوقت أما الصعوبة في الجانب التطبيقي في العدد القليل من الدراسات التي تناولت الشعر الجزائري المعاصر وبرؤية نقدية حديثة.

وفي الأخير نتقدم بجزيل الشكر للأستاذ المشرف الدكتور **عثمان مقيرش** الذي سدد خطانا وأثار لنا السبيل لمواصلة البحث والتقصي في كنف هذا الحقل العلمي، ونتمنى أن نكون قد وفقنا في الإحاطة ببعض ما جاء به هذا الصرح النقدي الجزائري ونفيه بعضا من حقه، ونكون قد قدرناه حق قدره بما أسهم به في إثراء النقد العربي، ونرجو من الله أن يلهمنا التوفيق والتقدم في بناء صرح العلم والاعتراف من بحره.

مداخل

واقف النقد في الجزائر

إن تناول النقد يتطلب وجوب التركيز على المنتج النقدي وتمثلا أكبر لما هو عليه، واستشرافا لما ستكون عليه مستقبلا، ومن هذا المنطلق يحاول بحثنا تناول النقد الجزائري الحديث والمعاصر ووضعه على طاولة البحث باعتباره جزءا من النقد العربي خاصة والنقد العالمي عامة.

ونريد في هذه السطور أن نتقرب من واقع هذا النقد متمسكين ملامحه مسجلين أهم خصائصه وهذا بعد توافد المناهج النقدية الغربية عليه، وولوج نظرياتها ومفاهيمها التي صبغته بصبغات متعددة.

وقد انقسم النقد حسب ذلك إلى مرحلتين هما مرحلة النقد السياقي وهذا ما مثلته المناهج التاريخية والنفسية والاجتماعية التي تتخذ من العوامل الخارجية التي تحيط بالنص وتتخذ مادة لها وتفسر النص حسبها، ومرحلة ثانية تمثل سيطرت المناهج النسقية حيث السلطة فيها للنص، وتشمل المنهج البنيوي والأسلوبي والموضوعاتي والسميائي والتفكيكي، وهناك مرحلة تلت النقد النسقي وحاولت تجاوزه وهي ما أطلق عليها بما بعد البنيوية أو مرحلة مناهج ما بعد النص، إذ السلطة فيها للقارئ وتشمل نظرية للقارئ وجمالية التلقي.

وقد تعمدنا ألا نعرض على النقد السياقي في الجزائر من باب أنه قد أخذ حصته من الدرس والتناول خلافا للنقد النسقي وما بعد النصي الذي مازالت أرضيه بكرا، حيث بينت قراءات للنتاج النقدي الجزائري أن الدراسات التي ينهض مسعاها على الإحاطة بتفاصيل الخطاب النقدي المعاصر لا تتعدى أصابع اليد، وذلك إذا استثنينا الدراسات الجامعية¹، ومع ذلك حاولنا أن نتطرق إلى هذا النتاج النقدي رغم قلته، وإذا أردنا أن نعالج هذا النتاج فإن من باب الدقة العلمية اختيار أحد التوجهين للدراسة، فإما أن نعالجه حسب أعلامه وهذا ما دأبت عليه المدرسة الأمريكية في الطرح وإما أن نعالجه مبرزين أهم مبادئه

1- محمد مكاي، الخطاب النقدي العربي (من النقد إلى نقد النقد) دراسات أدبية، مركز البصيرة، الجزائر، فيفري 2010،

ونظرياته وأسسها المعرفية والفلسفية وهو طرح المدرسة الفرنسية، ورغم ما يواجهه هذان الطرحان من قصور، إذ قد نورد أسماء ونقصي أخرى كما أن بعض النقاد قد ينتقلون من منهج إلى آخر حسب تجربتهم النقدية، وقد تمتزج عندهم عدة مناهج في دراسة واحدة، وهذا يدفعنا إلى المزوجة بين الطرحين فنعرف بالمناهج في النقد الجزائري المعاصر ثم نتناول أهم أعلامه وما قدموه في كل حقل من حقول النقد الحدائثي الجزائري الذي مازال يخطو خطواته الأولى في هذا الميدان.

واقع النقد الحدائثي في الجزائر (البنوي والسيميائي)

لم تكن الجزائر بعيدة عن التطورات التي حدثت في ساحة النقد العربي والعالمي وهذا يتجلى فيما قدمه بعض النقاد الجزائريين من دراسات في مجال النقد النسقي (البنوي) أو ما بعد البنوي، وهذا يرجع إلى جملة من الأسباب ساعدت الناقد الجزائري للالتفات إلى هذه المناهج النقدية الحدائثية حيث تعد «دراسة النص بوصفه لغة خاصة (واللغة هي القاسم المشترك بينهما) دراسة تهتدي بمفاهيم اللسانيات ومصطلحاتها وهو - بفعل ذلك - إحقاق لحق النص المسلوب نسبيا في المناهج السياقية وعودة إلى خصوصيته اللغوية»¹.

ومن بين الأسباب التي دفعت النقاد الجزائريين إلى اعتناق هذه المناهج هي: التفتح اللغوي (تعليم اللغات الأجنبية) وهذا من خلال إنشاء معاهد العلوم اللسانية والصوتية، والبعثات العلمية التي ساعدت على اتصال الباحثين الجزائريين بالجامعات الأجنبية واطلاعهم على المناهج النقدية في أصولها، والملتقيات العلمية والمجلات المتخصصة في الجانب النقدي والأدبي وأهم هذه المجلات مجلة تجليات الحدائث ومجلة

1- يوسف وغليسي، النقد الجزائري المعاصر من "اللانسونية" إلى "الألسنية"، إصدارات ربطة إبداع الثقافية، الجزائر، 2002، ص 116.

اللغة النقدية، ومجلة آداب¹، وقد دفعت كل هذه الأسباب النقد الجزائري إلى التعرف على ما جاء في ساحة النقد العربي والعالمى المعاصر والمتمثلة في المناهج النقدية التالية:

اولا: البنيوية في الخطاب النقدي الجزائري:

تعد البنيوية أحد أهم المناهج النقدية الحداثية التي تعرف إليها النقد الجزائري وكانت أولى بدايات الانفتاح مع نهاية السبعينات وإذا صعب علينا تقسيم هذا النص حسب الاتجاهات البنيوية على افتراض أننا ننتمي إلى نتيجة هي أن المنهج البنيوي تتجاذبه اتجاهين (البنيوية الشكلية والبنيوية التكوينية) أما ما هو واقع عندنا فهو الاكتفاء بالجانب الثاني فما أن يهتدي الباحث إلى مضمون النص، فيعزف الكشف عن تشكلها البنيوي لاغيا بذلك جمع البنيوية التكوينية بين الشئيين التوجه الشكلاني، والتوجه الجدلي²، وللتعريف بالاتجاهين في النقد الجزائري الحداثي يجب علينا أن نعرض على أهم النقاد الذين تناولوا المنهج في أعمالهم.

1- عبد الملك مرتاض:

هو ناقد جزائري تحددت معالم الاتجاه اللسانياتي في دراساته النقدية منذ الثمانينيات حين اظهر لنا لونا جديدا من الدراسات الحديثة وتبنى جملة من المعارف الإنسانية العلمية والمتمثلة خصوصا في النظرية البنيوية²، كما عد الناقد يوسف وغيليسي عبد الملك مرتاض رائدا للبنيوية وما بعد البنيوية في خطاب النقد الجزائري، وقدم دراسة وافية عن أهم أعماله وتوجهاته النقدية، وقد قسمها إلى مرحلتين:

مرحلة التأسيس والتجريب والتي تمثلها مجموعة من المؤلفات أهمها كتاب الخصائص الشكلية للشعر الجزائري الحديث (1981)، وكتاب الألغاز الشعبية الجزائرية (1982)، وكتاب الأمثال الشعبية الجزائرية (1982) وكتاب النص الأدبي من أين؟ وإلى أين؟ (1982)، بنية الخطاب الشعري (1986)، وكتاب عناصر التراث الشعبي في اللاز (1987)، وفي الأمثال

1- يوسف وغيليسي، النقد الجزائري المعاصر من "اللانسونية" إلى "الألسنية"، ص 40 و 41.

2- المرجع نفسه، ص 66 و 67.

الزراعية (1987)، والميثولوجيا عند العرب (1989)، والقصة الجزائرية المعاصرة (1990). فقد حاول تطبيق المناهج الحدائثية على النص الأدبي الشعبي لأنه مجهول المؤلف و يقصي صاحب النص¹، وتميزت كتابات عبد المالك مرتاض في هذه المرحلة بأنها تمهد لإرساء منهج نقدي جديد، يحتكم إلى التأويل المحايث للظاهرة النصية مجردة من سياقاتها الخارجية، برؤية بنيوية لم تسلم من بعض ملامح التقليدية مثلما تعثرت على عتبة الفصل بين شكل النص ومضمونه لينجر عن ذلك تجزيء المنهج وإخفاقه في احتواء الظاهرة النصية مجملة²، وغير بعيد عن تجربة عبد الملك مرتاض ومحاولاته في تمثّل هذا المنهج، برز في ساحة النقد الجزائري ناقد آخر تبنى البنيوية التكوينية باعتبارها أكثر الاتجاهات البنيوية انتشارا في المغرب العربي وهو الناقد عبد الحميد بورايو.

2- عبد الحميد بورايو:

اعتمد الناقد المنهج البنيوي وهذا يظهر في مقدمة كتابه (قراءة أولى في الأجساد المحمومة) محاولة بنيوية تكوينية متقدمة أنجز الناقد شطرها الأول بتناول البنية السردية للأجساد المحمومة لإسماعيل غموقات وفقا لرؤية وصفية تحليلية، وبإجراءات مصطلحية جديدة ولكن هذه المحاولة لا تأخذ شكلها المنهجي المتكامل نسبيا إلا في كتابه القصص الشعبي في منطقة بسكرة -دراسة ميدانية- الذي يمكن أن يكون أول تجربة بنيوية تكوينية تطبيقية في الخطاب النقدي الجزائري³، حيث «قام الباحث بربط وحدات النص بوظيفة كل واحدة وكشف العلائق التي تتواشج في القصة ليصل في الأخير إلى النظام أو القانون الذي يمكن أن يحكم قصص الغزوات، وهذا يوحي بفهم الكاتب ووعيه العميق للمنهج المتبع، وتحكمه في أدواته الإجرائية، ويتميز الكتاب بعدم تصريح الناقد لتبنيه للبنيوية

1- يوسف وغليسي، الخطاب النقدي عند عبد المالك مرتاض (بحث في المنهج و إشكالياته)، إصدارات رابطة إبداع الثقافية، الجزائر، 2002، ص49.

2- المرجع نفسه، ص63.

3- يوسف وغليسي، النقد الجزائري المعاصر من "اللانسونية" إلى "الألسنية"، ص 123.

التكوينية¹»، ويظهر الجهاز الإجرائي للناقد ويكشف في مرحلة لاحقة من الكتاب عن مصطلحات 'غلودمانية' تفصح عن انتمائها المنهجي مثل (الشرح)(البنية الأكبر)(رؤية العالم) للبنىوية التكوينية². كما تميزت هذه الدراسة بأنها «تعي جيدا إشكالية المصطلح النقدي وصاحبها منذ البدء أنه مقبل على تجربة عسيرة غير مأمونة السبيل، فالدراسة البنائية للنص الأدبي ما زالت تخطو خطواتها الأولى على استحياء بالدراسات الأدبية العربية مما جعل مسألة استخدام المصطلحات تطرح نفسها بالحاح، لذلك كان طبيعيا أن يضطرب ويتعثر في ترجمة بعض المصطلحات»³ وهناك من النقاد الجزائريين من اصطنع البنوية التكوينية ولكن في مجال التنظير وهو الناقد محمد ساري.

3-محمد ساري:

وقد قدم الناقد دراسة عنونها بالبحث عن النقد الأدبي الجديد سنة (1984)⁴، وقد خصص الناقد هذا الكتاب للنقد البنيوي التكويني وتطبيقاته، فجعل الباب الأول لنظرية النقد عند لوكاتش (Le cache) وغولدمان (Goldman) وفي القسم التطبيقي حاول الإحاطة بهذا المنهج في النقد الجزائري الجديد وفي القصة القصيرة⁵، وقد حاول الناقد أن يعرف بالنقد الجديد وهو ذلك «النقد المؤطر بالجدلية الماركسية أو النقد البنيوي التكويني الذي يستطيع أن يتماشى وطبيعة النصوص التي كتبت في نهاية الستينات والسبعينات في القرن الماضي إذ لا يمكن فهمها إلا داخل الكيفية البنائية التي تتحرك فيها هذه الأحداث وربط هذا البناء

1- مريم خرمارة، ملامح النقد الحداثي في الجزائر بين النظرية و التطبيق، مذكرة ماجستير، مخطوط، جامعة وهران، 2001-2002، ص 81.

2- يوسف وغليسي، النقد الجزائري المعاصر من " اللانسونية " إلى " الألسنية"، ص 124.

3- المرجع نفسه، ص 127.

4- محمد ساري، البحث عن النقد الجديد، دار الحداثة، بيروت، لبنان، ط1، 1984، ص 03.

5- محمد عزام، تحليل الخطاب الأدبي على ضوء المناهج النقدية الحداثية (دراسة في نقد النقد)، منشورات إتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، ط 1، 2003، ص 255.

الجزئي بالبناء الأكثر شمولية وهو رؤية العالم»¹ ورغم أن الناقد قد تناول مفاهيم النقد التكويني عند الغرب بشكل نسبي وبفهم عميق لأهم المسائل الدقيقة و المطروحة في هذا المنهج غير أنه عند التطبيق يكتفي بالمضمون الاجتماعي للعمل الأدبي²، إذا فقد تميزت معالجته بالتقليدية إذ يكتفي فيها الناقد بتلخيص مضمون القصة فقط³.

1- مريم خرمازة، ملامح النقد الحداثي في الجزائر بين النظرية و التطبيق، ص76.

2- المرجع نفسه، ص 77.

3- محمد عزام تحليل الخطاب الأدبي على ضوء الناهج النقدية الحداثية (دراسة في نقد النقد)، ص260.

ثانيا: السيميائية في الخطاب النقدي الجزائري:

حاول النقاد الجزائريون أن يأخذوا بحضهم من الدراسات السيميائية التي حاولت الانفلات من مغاليق البنيوية، ويرجع سبب توجههم لها إلى عدة أسباب منها: توفر هذا المنهج على أدوات إجرائية فعالة أثناء الممارسة تمتد وشائج مع مختلف العلوم هذا من جهة، و التأثير البالغ للممارسة النقدية في المغرب الأقصى وتونس على مسار هذه الدراسات من جهة أخرى.

دور الترجمة حيث تعد رافدا من روافد إثراء البحث السيميائي في الجزائر وبما تميزت به ترجمات الجزائريين من دقة وارتباط بالمجال المترجم منه¹، وتطالعنا أسماء اتخذت من هذا المنهج سبيلا لها في التطبيق ولعل عبد الملك مرتاض من النقاد الأوائل من حيث استخدامه لهذه المناهج النقدية الحداثية².

1- عبد الملك مرتاض :

حاول هذا الناقد الاستفادة من رحابة هذا المنهج فاتخذ سبيلا في التطبيق وهذا في المؤلفات التالية : ألف ليلة و ليلة "تحليل سيميائي تفكيكي" لحكاية حمال بغداد (1983)، و أ.ي دراسة سيميائية تفكيكية لقصيدة ' أين ليلاي' لمحمد العيد آل خليفة (1992)، وشعرية القصيدة قصيدة القراءة ' تحليل مركب لقصيدة أشجان يمانية' (1994)، وتحليل الخطاب السردى 'معالجة تفكيكية سيميائية مركبة لراوية زقاق المدق' (1995)، ومقامات السيوطي دراسة (1996)، وقد تميزت دراساته في معظمها بخاصيتين هما:

- الأولى :الطابع السيميائي في كل دراسة.

1- مريم خرمازة، ملامح النقد الحداثي في الجزائر بين النظرية والتطبيق، ص118-119.

2- بشير تاويربيت، الحقيقة الشعرية على ضوء المناهج النقدية المعاصرة و النظريات الشعرية (دراسة في الأصول و المفاهيم)، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط 1، 2010، ص135.

- الثانية : التكامل في الإفادة من جميع التيارات اللسانياتية المخصصة بالتيار السيميائي مثل البنيوية بمدارسها والتفكيكية والأسلوبية بإجراءاتها¹، ويظهر أن الناقد قد أخذ يصطنع منها مركبا جديدا يقوم -في الغالب- على المراوحة والمؤالفة بين السيميائية والتفكيكية²، ومن الأسماء النقدية التي لها جهودا جبارة في هذا المنهج هو الناقد رشيد بن مالك.

2- رشيد بن مالك :

حيث تشهد أعماله النقدية المتعددة في هذا المنهج، فقد قدم دراسات سيميائية عديدة في الرواية الجزائرية وإن لم ينتظمها كتاب مطبوع إلى حد الآن منها (تحليل سيميائي لقصة عائشة لأحمد رضا حوحو، ونوار اللوز لوسيني الأعرج سيميائية النص الروائي)، حيث تتميز دراساته عموما بالتطبيق الجبري الآلي لمقولات السيميائية الفرنسية (ولغريماسية خصوصا) مع تغييب المعطيات الذوقية، وقدم في الجانب التاريخي لوثيقة هامة عن جان كلود كوكي³، وقد قام الناقد بترجمة جل الأفكار النظرية للسيميائيين الفرنسيين وهذا ما تضمنه كتابه السيميائية أصولها وقواعدها لمجموعة من المؤلفين، كما حظيت الأعمال السردية بحصة الأسد في الطروحات السيميائية التي تقدم بها منذ تأليفه لكتاب مقدمة في السيميائية السردية⁴، وواصل جهوده النقدية في هذا الميدان حيث يعتبر كتابه قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص امتدادا لجهوده، ومن حيث الإطار المنهجي الذي يركز على التدقيق في المفاهيم النظرية والاشتغال على المصطلح السيميائي برده من ناحية إلى

1- مولاي علي بوخاتم، الدرس السيميائي المغاربي (دراسة و صفة نقدية إحصائية في نموذجي عبد الملك مرتاض و محمد مفتاح)، ص 14.

2- يوسف وغليسي، الخطاب النقدي عند عبد المالك مرتاض (بحث في المنهج وإشكالياته)، ص 64.

3- يوسف وغليسي، النقد الجزائري المعاصر من "اللانسونية" إلى "الألسنية"، ص 138-139.

4- بشير تاويريريت، الحقيقة الشعرية على ضوء المناهج النقدية المعاصرة و النظريات الشعرية (دراسة في الأصول و المفاهيم)، ص 138.

المستوى التحليلي المتجانس، وتدرج ترجمته ضمن المصطلحية السيميائية في شموليتها بوصفه نظاما متماسكا¹، ورغم ما اتسمت به التجربة النقدية عند رشيد بن مالك في مجال السيميائية وما اعتراها من غموض وتعقيد قد يكون مرد ذلك إلى غياب سلطة الحس الفني عند الناقد وهو الغياب الذي أوقعه في تلك الميكانيكية الحائرة، ويبقى رشيد بن مالك واحد من أساطين التأسيس للسيميائية السردية في الجزائر³، ورغم ما ميز النقد السيميائي في الجزائر وهو أن معظم مقارباته النقدية قد اقتفت أثر المدرسة الباريسية، فقد آب جل الباحثين في تعريف معظم مفاهيمهم الإجرائية وتأطيراتهم النظرية إلى أبحاث غريماس²، وعلى نهج هؤلاء سار كل من حسين خمري الذي صدرت دراسات عديدة في الدوريات العربية والجزائرية والمرحوم بختي بن عودة، وأحمد شريط، وبشير إبيرير³، وهناك دراسات سيميائية اتخذت من التأويلية توجهها لها مبتعدة بذلك عن ما وسم المدرسة الباريسية من ميكانيكية وضيق في تناول، ويظهر ذلك فيما قدمه الناقد عبد القادر فيدوح.

3- عبد القادر فيدوح:

قدم الناقد كتابين الأول حمل عنوان دلالية النص الأدبي دراسة سيميائية للشعر الجزائري، والثاني الرؤية والتأويل مدخل لقراءة القصيدة الجزائرية المعاصرة ورغم ما يؤاخذ عليه الناقد، الذي يظهر في فشله في تنظيم جهازه المصطلحي إذ استعمل مصطلحين لمفهوم واحد (الدلالية والسيميائية) في كتابه الأول، وأن مرجعيته السيميائية منقولة بطريقة العننة فهو يخلو من إشارة واحدة إلى مرجع سيميائي في كتابه الرؤية والتأويل⁴.

1- بشير تاويريت، الحقيقة الشعرية على ضوء المناهج النقدية المعاصرة و النظريات الشعرية (دراسة في الأصول والمفاهيم)، ص139.

2- المرجع نفسه، ص141.

3- يوسف وجليسي، النقد الجزائري المعاصر من "اللانسونية" إلى "الألسنية"، ص 137-139.

4- المرجع نفسه، ص139.

إضافة إلى هذا التوجه للدرس السيميائي صوب التأويلية نجد نقاد آخرين قد توجهوا صوب رافد آخر من روافد السيميائية والمتمثل في السيميائية الأمريكية فقد «حاول كل من عبد المالك مرتاض والطاهر رواينية الاستفادة من بعض تعقيدات الطرح البيروني (Peirce) مستخدمين تقسيماته للعلامة (الأيقونة - القرينة - الرمز) كأدوات إجرائية في التحليل إضافة إلى اهتمام مرتاض بالتأويلية في إطارها المعرفي عند بيرس¹» كما نجد أن من الدراسات التي تتبع المسار السيميائي وتحولات دراسة الخطاب البصري والفوتوغرافيا الأيقونية لبارت (Barthe) ولوتمان ، موريس، بيرس، دولوز، دريدا.

أحمد يوسف والتي بين فيها طموح السيميائية في أن تكون العلم الذي يوحد العلوم مع مراعاة المقولات الفلسفية والأطر المعرفية التي تتحكم فيها الممارسات لتطبيقية السيميائية²، وهو الناقد الذي سنسلط عليه الضوء في دراستنا هذه مركزين على منهجه النقدي، وهذا لأن المطلع على المشهد النقدي الحداثي في الجزائر يلاحظ بأن هناك ناقدان فقط كانت لهما النية في تأسيس مشروع سيميائي في النقد الجزائري وهما رشيد بن مالك ويوسف أحمد. فكل ما أنجزوه لم يتعد التعريف بالسيميائيات ولم يؤد إلى تحقيق بروز منهج نقدي سيميائي.

وهو ما سنحاول إبرازه في بعض جوانب هذه الدراسة التي تتخذ من المنهج النقدي عند أحمد يوسف مادة لها من خلال كتابه "يتم النص".

1- مريم خرماسة، ملامح النقد الحداثي في الجزائر بين النظرية و التطبيق، ص138.

2- المرجع نفسه، ص133.

الفصل الأول:

المنهج البنيوي تنظيرا وتطبيقا

المبحث الأول: المنهج البنيوي عند الناقد تنظيراً

المطلب الأول: مفهوم ونشأة البنيوية

أولاً: مفهوم البنيوية

تشتق البنيوية وجودها الفكري والمنهجي من مفهوم (البنية) أصلاً، وعلى ضوء هذا المفهوم فقد تعددت مفاهيم البنية في الشقنين اللغوي والاصطلاحي، ففي المعاجم العربية نجدها قد عرفت كالتالي:

لغة: «بنى: بنى بيتاً أحسن بناءً وبنياناً، وهذا بناءٌ حسن وبنيان حسن» كأنهم بنيان مرصوص " سمي المبني بالمصدر، وبنائوك من أحسن الأبنية وبنيت وبنية عجيبة، ورأيت البنى والبنى فما رأيت أعجب منها وبنى القصور، وفلان يبانى فلان: يباريه في البناء وأبنتي سكناه دار وأبنت بيتا وفي مثل: المعزي تُبهي ولا تبني.

لو وصل الغيث أبين أمرا * * * كانت له قبة سحق دجاء»¹.

«هي البنية والبنية ما بنيته، وهو البنى والبنى، يقال بنية وهي مثل رشوة ورشا كأن البنية الهيئة التي بُني عليها مثل المشية والركبة، والبنى بالضم بنية وبنى وبنى، بكسر الباء مقصور، مثل جزية: المقصور، مثل البنى، ويقال: جزى. وفلان صحيح البنية أي الفطرة. وأبنت الرجل أعطيته بناء وما بيئتي به داره»².

من خلال هذين التعريفين نصل إلى فكرة مفادها أنّ تعريف البنية اللغوي في المعاجم اختلفت من عالم إلى آخر، فهناك من يعتبرها رشوة ومشية وجزية، كما يعني بها البناء والتشييد عند البعض، إضافة إلى ذلك نجد أنّ كلمة "بنية" تعني أيضاً «تكوين الشيء وقد تفيد الكيفية التي يشيد عليه، ومما جاء في لسان العرب أنّ النبي سليمان عليه السلام قال: "من هدم بناء ربه فهو ملعون" يعني من قتل نفساً بغير حق لأنّ

1- أبو قاسم جار الله محمود بن أحمد الزمخشري، أساس البلاغة، تحقيق محمد باسل، الجزء الأول، دط، عيون السود ناشرون، بيروت، 78.

2- ابن منظور، لسان العرب، ط3، دار صادر بيروت، لبنان: 2004، ص106.

الجسم بنيان خلقه الله وركبه، يوحي الحديث النبي سليمان بأنّ البنية روح وجسد، وهي متحدة شكلاً ومضموناً، فقيمة الجسد مرتبطة بجودة الروح الفاعلة والمستمرة¹. فمن خلال هذا التعريف نكتشف أنّها شبكة منتظمة من التحولات الداخلية حيث لا يمكن عزل أي جزء عن الآخر فهو كل متلاحم.

وثمة لما ذكرناه سابقاً يتبادر إلى ذهن العديد من الباحثين سؤالاً مهماً يتجلى في "ما البنائية؟" «فهي من "البناء" أو "البُنْيَة" و"البِنْيَة" الشيء في اللغة العربية هي "تكوينه" وهي أيضاً "الكيفية" التي تشيد على نحوها هذا البناء أو ذلك، وحين نتحدث عن البناء الاجتماعي أو بناء الشخصية أو البناء اللغوي، فإنّنا نشير بذلك إلى وجود نسق عام، أهم ما يتصف به هو عنصر النظام، فالبناء هو صورة منظمة لمجموع من العناصر المتماسكة ومن هنا مجموع العلاقات الثابتة بين عناصر متغيرة يمكن أن ينشأ على منوالها عدد لا حصر له من النماذج»². فالعرب استخدموا هذا المصطلح للدلالة على التشييد والبناء لأنّ هناك ثمة ارتباط وثيق بين المبنى والمعنى؛ أي كل تحول أو تغيير في البنية سيؤدي حتماً إلى تغيير في المعنى، فالبنية هنا عبارة عن عناصر مركبة مع بعضها البعض ويمكن أن ينتج عنها عدة نماذج، ويقول بشأنها زكريا إبراهيم «كلمة البنية واسعة فضاضة لا تكاد تعني شيئاً لأنّها تعني كل شيء»³. نتيجة لتعدد معاني هذا المصطلح أصبح غير مستقر لكنه بقي في نفس الوقت يعني كل شيء.

وتكملة لهذه المفاهيم اللغوية بالنسبة لمصطلح البنية عند العرب، فإنّنا حاولنا التعرف على المفاهيم الغربية لهذا المصطلح، «تشتق كلمة بنية في اللغات الأوروبية من

1- مها خير بك ناصر، "الخطاب" دورية أكاديمية محكمة تعنى بالدراسات والبحوث العلمية في اللغة والأدب، دار الأمل، العدد الثاني، ماي 2007 م، ص 203.

2- عبد الوهاب جعفر، البنيوية بين العلم والفلسفة عند ميشيل فوكو، دط، دار المعارف، دب: 1989م، ص 1-2.

3- فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، ط1، دار العربية للعلوم ناشرون، دب: 2010م، ص 313.

الأصل ألاتيني " (STUERE) الذي يعني البناء أو الطريقة التي يقام بها مبنى ما، ثم امتد مفهوم الكلمة ليشمل وضع الأجزاء في مبنى ما من جهة وجهة النظر الفنية المعمارية وبما يؤدي إليه من الجمال التشكيلي، وتتص المعاجم الأوروبية على أنّ الفن المعماري يستخدم هذه الكلمة منذ منتصف القرن السابع عشر»¹. فبهذا نجد أنّ مصطلح البنوية في أصله قد اشتق من مصطلح البنية والذي هو بدوره مشتق من الأصل الاتيني الذي شبه بالفنية المعمارية، وقد كان «تتياوف» أول من استخدم لفظة بنية في السنوات المبكرة من العشرينات، وتبعه "رومان جاكسون" الذي استخدم كلمة البنوية لأول مرة عام 1929م، وبالرغم من انتماء جاكسون إلى تيار شكلي رفض الاتجاه المبكر بين الشكلايين لعزل النص عن السياق الاجتماعي الذي أفرزه»².

وعلى ضوء هذا البناء (structure) لا يتصل بالواقع الحسي، وإذا كان البحث العلمي يبدأ بملاحظة الواقع ثم بتكوين نماذج ثم يحللها، " فليفي شتراوس" يهاجم بشدة من يوحد بين البناء وبين العلاقات الاجتماعية، لأنّها تعد بمثابة المادة الخام والبناء ليس وقعا حسيا بل هو عقل صوري، فالبناء هو صفة الظاهرة الاجتماعية باعتبارها مستقلة على نوع من النظام والمعقولية ولا استقرار نسبي وإلا لتحول البحث العلمي إلى مجرد عبث لا موضوع له وهذا ما يؤكد في كتابه (النيئ والمطبوخ)³ فإذا قارنا بين هذين القولين فإننا نصل إلى نتيجة مفادها أنّ كل من العالمين كلير وشتراوس اتفقا على أنّ مفهوم البناء متعلق بالجوهري لا بالوقائع الخارجية؛ أي أنّ الدراسة الأدبية البنوية هي محاولة لدراسة علمية للنص الأدبي.

1- صلاح فضل، نظرية البنائية في النقد الأدبي، ط1، دار الشروق، القاهرة، 1998 م، ص120.

2- عبد العزيز حمودة، المرايا المحدبة، من البنوية إلى التفكيك، عالم المعرفة، العدد 232، دط، الكويت: ص163.

3- عبد الوهاب جعفر، البنوية في الأنثروبولوجيا وموقف سارتر منها، دط، دار المعارف، دب، 1989 م، ص39-43.

أ- اصطلاحاً: بعدما تحدثنا عن المفهوم اللغوي للبنية، والذي استنتجنا من خلاله أنّ هناك اختلاف في معانيه ومضامينه من عالم لآخر، بعد هذا نحاول أن نعرض المفاهيم الاصطلاحية التي أتى بها مجموعة من الباحثين: نجد من بينهم "لوسيان سيف" الذي يشير أنّ مفهوم البنية في أوسع معانيه على أنّه «نظام من العلاقات الداخلية الثابتة، يحدد السمات الجوهرية لأي كيان، وبشكل كلاً متكامل لا يمكن اختزاله إلى مجرد حاصل مجموعة عناصره، وبكلمات أخرى يشير إلى نظام يحكم هذه العناصر فيما يتعلق بكيفية وجودها وقوانين تطورها»¹؛ أي أنّ البنية خاصية داخلية تقصي جميع السياقات الخارجية فهي تخضع لقوانين تساهم في تطويرها وتماسك أجزائها إذ لا يمكن إدراك طبيعتها بصورة فردية لأنّ العنصر لا يمكن أن يكون له وجود إلاّ من خلال العلاقة التي تربطه بين بقية العناصر، فالبنية «نسق من العلامات الباطنية (المدركة وفقاً لمبدأ الأولوية المطلقة للكل على الأجزاء) له قوانينه الخاصة المحايثة من حيث هو نسق يتصف بالوحدة الداخلية والانتظام الداخلي على نحو يفضي فيه أيّ تغيير في العلاقات إلى تغيير النسق نفسه، وعلى نحو ينطوي معه مجموع الكلي للعلاقات على دلالة يغدو معها النسق دالاً على المعنى»² فهذا التعريف يركز على مسلمتين هما أنّ البنية تصور عقلي أقرب إلى التجريد أمّا الثاني هو أنّ موضوع هذا التصور يتصف بأنه حقيقة لا شعورية، «إنّ مفهوم البنية هو نظام يعمل وفق مجموعة من القوانين (بينما لا تملك العناصر اللغوية إلاّ مجموعة من السمات) وبإمكانه أن يستمر وأن يفتني عن طريق لعبة تلك القوانين ذاتها دون مشاركة العناصر الخارجية، إنّ البنية نظام تميزه الكلية والتحويل والانتظام الكلي»³.

1- عز الدين المناصرة، علم الشعريات، (قراءة مونتاجية في أدبية الأدب)، ط1، مجدلاوي، عمان: 2006 م، ص542.

2- إديث كريزويل، عصر النبوية، تر: جابر عصفور، ط1، دار سعاد الصباح، الكويت: 1992، ص391.

3- كلود لفي شتراوس، الأنثروبولوجيا النبوية، تر: مصطفى صالح، دط، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق: 1977م،

هذه هي الخصائص الثلاثة التي تحافظ على نظام البنية فالكلية تعد المسؤولة عن تماسك أجزاء البنية وخضوعها للقوانين التي تتحكم في المجموعة ككل وتعطيها خصائصها العامة، أمّا التحولات فهي كل ما يطرأ على البنية من تغيرات جديدة، أمّا التنظيم الذاتي فيقصد به أنّ البنية قادرة على ضبط أجزائها وتحولاتها دون الحاجة إلى مؤثر خارجي.

إضافة إلى هذه المفاهيم نجد "ليونارد جاكسون" يعرف البنيوية على أنّها تعني «القيام بدراسة ظواهر مختلفة كالمجتمعات، والعقول، واللغات، والأساطير، بوصف كل منها نظاماً تاماً، أو كلا مترابطاً؛ أي بوصفها بنيات، فتتم دراستها من حيث أنساق ترابطها الداخلية، لا من حيث هي مجموعات من الوحدات أو العناصر المنعزلة ولا من حيث تعاقبها التاريخي»¹.

من خلال هذا القول يتضح أنّها مرتبطة بجميع مظاهر الحياة في أنساق كلية مترابطة داخلياً مبتعدة عن جميع الوقائع الخارجية (التاريخية، النفسية... الخ).

1- عز الدين مناصرة، علم الشعريات، (مونتاجية في أدبية الأدب)، ط1 ، دار مجدلاوي، عمان: 2006 م، ص542.

ثانياً: لمحة عن نشأة النبوية:

تعود نشأة النبوية وتطورها إلى مجموعة من الروافد والإسهامات، «غالباً ما تشير الأفكار الجديدة ردود الأفعال المحافظة على القديم والمعادية للنزعة العقلية، وهذا أمر ينطبق على الطريقة التي استقبلت لها النظريات التي يجمعها اسم "النبوية" بوجه خاص¹» نظراً لأنها جاءت بمفاهيم مغايرة تماماً لما كانت تقوم عليه المناهج السابقة التي اهتمت أثناء تحليلاتها للأعمال الأدبية بالظروف الخارجية (التاريخية، النفسية، والاجتماعية) لذا نجد أنّ النبوية قامت على معاداة هذه المناهج.

وبهذا «لقد قيل عن النبوية أنّها فلسفة موت الإنسان، رغم أنّ الأصل في ظهورها جاء من منطلق محاولة تقديم منهج جديد في دراسة العلوم الإنسانية والاجتماعية فقد أصب اهتمام النبوية على الهياكل أو البناءات أو النظم الثابتة الكامنة وراء شتى مظاهر الخبرة البشرية، ومن ثمة مجدت البنية على حساب مقوماتها، والتحليل النبوي على حساب الاستقرار والتعميم، وبالتالي تجاهلت النبوية أهمية ودلالة كل عنصر على حدة بل ضحت بهذه الدلالات من أجل البناء العام الذي تخضع له»² فالقارئ منذ عهد بعيد كان يؤمن أنّ العمل الأدبي وليد الحياة الإبداعية لمؤلفه، وأنّ النص الأدبي تعبير عن ذات صاحبه إلا أنّ النبوية نجدها قد فصلت بين النص ومؤلفه.

تأسيساً على ما سبق يقول أحد الكتاب المعاصرين: «إنّ النبوية سيدة العلم والفلسفة رقم واحد بلا منازع، ابتداء من سنة 1966م حتى اليوم»³ ويعود تحديد هذا التاريخ إلى ظهور كتاب "الكلمات والأشياء" للفيلسوف ميشيل فوكو.

غير أنّ النبوية قد سادت العلم قبل ذلك بكثير، «ففي سنة 1955 م ظهر كتاب

1- رمان سلدن، النظرية العربية المعاصرة، تر: جابر عصفور، دط، دار قباء، القاهرة: 1998، ص 87.

2- محمد مجدي الجزيري، النبوية والعولمة في فكر كلود ليفي شتراوس، دط، دار الحضارة، دب: 1999، ص 171.

3- زكريا إبراهيم، مشكلة البنية، أو أضواء على "النبوية" دط، مكتبة مصر، دب: 1976، ص 7.

(الآفاق الحزينة) للعالم الأنثروبولوجي لفي شتراوس واعتبره الباحثون بداية لظهور البنيوية على مسرح الفكر، رغم أنّ المعالم الأولى لهذا الاتجاه قد رسمتها الأبحاث اللغوية في بداية هذا القرن ابتداءً من ظهور محاضرات فرديناند دي سوسير في علم اللغة سنة 1916»¹. وبهذا الكتاب الذي ألفه هذا العالم؛ أي شتراوس نجده قد أكسبه شهرة واسعة وساعده على تأليف كتاب آخر بعد سنوات قليلة المعنون ب: (الأنثروبولوجيا البنوية)، فهذين الكتابين كانا بمثابة الدعامة لتكريس النزوع البنوي باتجاه كافة المجالات سواء المجال الأدبي أو الفلسفي أو الرياضي، لكن هناك من ينسبها إلى العالم السوسيري في كتابه (محاضرات في اللسانيات العامة)، هذا يعني أنّ هناك اختلاف في تحديد التاريخ الفعلي لظهورها.

فالبنيوية لم تظهر فجأة في باريس، وما حدث في الستينات كان نقطة تحول إلى شعار اتخذته الناس باعتباره أمراً مثيراً، فخلقوا منه موضة فكرية تجاوزت حدود المعقول مما سبب الانزعاج للمفكر "لفي شتراوس" حيث اعتقد أنّ سمعته الأكاديمية ستتحط لو تبني هذه الفكرة، وهذا ما ساهم في انتشارها خارج فرنسا وبقدر أقل، هناك من وجد فيها كشفاً أصيلاً مفيداً يمكنه من أن يعيد توجيه الطرق المتبعة في البحث، بينما اعتبرها آخرون كلمة تجذب النظر تتفع للتلويح بها أمام الخصوم²، هذا يدل على أنّها مرتبطة بالفكر الفرنسي، كما أنّها أحدثت منحا أساسياً في المسار النقدي الغربي، وهذا ما أثار شكوكاً حولها من خلال المناصرة والإنكار لها، وعليه «ترتبط البنائية كنظرية ومنهج بالفكر الفرنسي المعاصر، كما تعتبر أحد الاتجاهات الفكرية الأساسية التي سيطرت على ذلك الفكر لفترة من الزمن ولا تزال أصدائها تتردد في الأوساط العلمية والأكاديمية في فرنسا وأوروبا وأمريكا رغم خروج بعض المفكرين (البنائيين) عليها، بل وتكرر البعض منهم لها وإنكارهم الانتماء إليها في

1- عبد الوهاب جعفر، البنيوية بين العلم والفلسفة عند ميشيل فوكوه، دط، دار المعارف للنشر، دب: 1989 م، ص 19.

2- جون ستروك، البنيوية وما بعدها من لفي شتراوس إلى دريدا، تر: محمد عصفور، عالم المعرفة، العدد 206، دط،

الكويت: 1998 م، ص 9.

وقت من الأوقات»¹. نفهم من خلال هذا القول أنها احتلت موقعا بارزا في تاريخ الفكر الفرنسي المعاصر، وقد تميزت بأطروحاتها الثورية بما تحمله من أفكار وحلول وذلك من أجل أن تمارس قطيعة مع ماضي المعارف كلها، فظهورها كمنهج ومذهب فكري كان ردة فعل على الوضع الذري السائد في القرن العشرين، وهو وضع تغذى منه وانعكس على تشظي المعرفة، لتجسد من ثمة مقولة الوجوديين أساسها عزلة الإنسان وانفصامه عما حوله، وبهذا ظهر النظام الكلي المتكامل المتناسق الذي يوجد بين العلوم، ومن هنا حاولت أن تكون منهاجا شاملا يفسر علميا الظواهر الإنسانية، ولذا كان اهتمامها منصبا على جميع مجالات المعرفة من فيزياء، رياضيات، والأنثروبولوجيا...².

استنادا على ما سبق، «يذهب بعض الكتاب إلى أنّ عصر البنائية قد انحسر مثلما انحسر عصر الوجودية. ومع أنّ لفي شتراوس نفسه يعترف بأنّ الكثير يرون أنّ البنائية لم تعد هي "الموضة" منذ السبعينات فلا تزال البنائية كمنهج أساسا فعالا في كثير من الدراسات الأنثروبولوجية والأدبية بوجه خاص بل إنّها أفلحت من هذه الناحية بالتغلغل إلى معظم ميادين البحث»³. وعليه تبقى كمنهج أساسي استمدت معارفها من مختلف العلوم، وبهذا لم تعد موضة بل أصبحت لها مكانتها الهامة في مجالات متعدد من البحث اللغوي.

1- أحمد أبو زيد، مغل إلى البنائية، دط، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، القاهرة: 1955 م، ص11
 2- ميجان الروبلي، سعد البازعي، دليل الناقد الأدبي، ط3، الناشر الدار البيضاء، المغرب: 2002 م، ص67-68.
 3- أحمد أبو زيد، مدخل إلى البنائية، دط، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، القاهرة، 1995 م، ص ح و ط، ص20.

المطلب الثاني: أعلام البنيوية

لقد أدى ظهور البنيوية إلى تبني العديد من العلماء لها نذكر على سبيل المثال أهم من نبغوا فيها:

1- فرديناند دي سوسير:

الذي يعد الرائد الأول للبنيوية بالرغم من أنه لم يستخدم مصطلح بنية في محاضراته أو بحوثه وذلك لأنّ أرائه في علم اللغة الداخلي وتميزه بين اللغة كنظام واللغة كحدث فعلي يمارسه شخص معين هي أساس نشأة الدراسة البنيوية، ولعل أهم إسهاماته في حقل الدراسات اللغوية يمكن تحديدها على النحو التالي:

- فصل اللغة: كمؤسسة اجتماعية عن الكلام باعتباره صادر عن الفاعل.
- فصل اللغة عن تاريخ اللغة: لم يكتف سوسير بالتفريق بين اللغة والكلام فحسب، بل فرق أيضا بين النظرة التوافقية التزامنية (synchronie) للغة وبين النظرة الزمنية التعااقبية (Diachronie) للغة.
- رفض النظرة الاسمية: إلى اللغة وهي النظرة التي ترى أن ماهية اللغة تكمن في تسمية الأشياء بأسماء معينة أو ربط كلمة ما بفكرة سابقة حاضرة في الذهن¹. لذا فقد سعى إلى التفريق بين هذه الثنائيات التي تهم الدارس البنوي أما العنصر الثاني فيتجلى في فصل اللغة عن التاريخ ودراسته في لحظة معينة.

2- كلود ليفي شتراوس:

فيعد زعيم البنيوية الفرنسية، ومؤسس البنيوية الأنثروبولوجية، حيث عم مفهومه عن البنية على جميع فروع المعرفة البشرية، وتوسع في نظره للبنيوية لتشمل الكون بأسره، لأنه يرى أن البنيوية مجرد منهج يمكن تطبيقه على أي نوع من الدراسات، ويتجلى اهتمام هذا

1- محمد مجدي الجزيري، البنيوية والعولمة في فكر كلود ليفي شتراوس، ط3، دار الحضارة للطباعة والنشر والتوزيع، دب: 1999، ص31-32.

الأخير بالبنيوية من حيث أنه « توطدت صداقته مع رومان جاكسون الذي قاده إلى الاهتمام بعلم اللغة البنيوي، فأسهم بمقال عن "التحليل البنيوي في علم اللغة والأنثروبولوجيا" نشره عام 1945 في مجلة حلقة نيويورك»¹ وهكذا «وما إن تعرف ليفي شتراوس علم اللغة البنيوي بفضل جاكسون حتى أخذ ينظر إلى دراسة سوسيرر للغة بوصفها نسقا مستقلا بذاته، نسقا يقوم على التسليم بعلاقة فاعلة تصل مكونات العلامة اللغوية؛ أي تصل بين نسق اللغة (langue) والكلام الفردي (parole) من ناحية، وبين الصورة الصوتية الدال والمفهوم (المدلول) من ناحية ثانية»². هذا يعني أن ليفي شتراوس ركز على اتجاهين أساسيين هما: الثنائيات السوسيرية ونموذج التحليل الفونيمي لجاكسون الذي حاول من خلالها إثبات أن البنية أي اللغة تتبع دائما سبيلا ثنائيا من التراكيب المتوازية. وفي ضوء هذه الحقيقة « فالبنية عند ليفي شتراوس ليست مجرد ظاهرة ناتجة من ارتباط البشر من بعضهم البعض وإنما هي في المحل الأول نسق (system) محكمة بالاتصال الداخلي. وهذا الاتساق لا يمكن ملاحظته بالنسبة لنسق مغلق أو منعزل عن غيره وإنما يتسنى اكتشافه فقط عن طريق دراسة تحولات التي بواسطتها يعاد اكتشافها الخصائص المتماثلة في أنساق متباينة»³.

وبهذا التناول البنيوي للفي شتراوس ندرك أنه يهتم بدراسة التحولات الداخلية التي من خلالها يتم التعرف على العناصر المكونة لها وخصائصها المختلفة، وبهذا فإنه «- شيخ البنيويين المعاصرين - بقوله إنه لا بد لنا من أن ندير ظهورنا لكل ما هو معاش، من أجل التوصل إلى فهم "الواقع". ومن هنا فإنّ ليفي شتراوس يرفض كلا من الفينومولوجيا، والوجودية، نظرا لأن كلا منهما تسلم بوجود "الاستمرار أو الاتصال بين المعاش" و"الواقعي" في حين أنه لا سبيل إلى بلوغ "الواقع" - يقول زعيم البنيوية

1- إديث كريزويل، عصر البنيوية، تر: جابر عصفور، ط1، دار سعاد الصباح، الكويت: 1992م، ص35-36.

2- المرجع نفسه، ص38.

3- محمد مجدي الجزيري، البنيوية والعلومة في فكر ليفي شتراوس، ص25.

الأنثروبولوجية- اللهم إلا انطلاقاً من عملية تنحية "المعاش" حتى لو اقتضى الأمر -من بعد- معاودة إدماجه في نسق موضوعي يكون قد تم تطهيره من الشوائب النزعة الوجدانية»¹. تتمحور الفكرة الأساسية لهذا الأخير هو إقصاء الخارج في دراسته ورفض كلا من الوجودية والفيونولوجيا وبهذا تكون الدراسة خالية من الشوائب وموضوعية أكثر.

3- رومان جاكبسون:

لننتقل الآن من هذين الشخصيتين إلى عنصر آخر الذي ساهم بطريقة معينة في بلورة فكرة من سبقوه من المفكرين من خلال أنه: «أمكن تطوير آراء ديوسوسير في ضوء اتجاهه إلى الكشف عن الأبنية الصوتية للغة حيث برهن على أن البنية الأساسية للغة تتضمن زوجين من التقابلات، فعندما نستمع إلى صوت معين يمكننا أن نقرر في الحال ما إذا كان هذا الصوت حاداً أو غليظاً. وعلى أساس من هذا التقابل يتمكن العقل من التعرف على أصوات الكلام وتحديد مفاهيم الكلمات»². قام رومان جاكبسون بتطوير فكرة دي سوسير وركز على الجانب الصوتي في دراسته، وقد عبر عن ذلك في قوله: «إنّ هدف علم الأدب ليس هو الأدب في عمومه، وإنما أدبيته، أي تلك العناصر المحددة التي تجعل منه عملاً أدبياً»³. فالمنطلق الذي انطلق منه جاكبسون في نظريته إلى البنيوية هو أنه لا شيء خارج النص، فهو يقصي السياقات الخارجية والعوامل التاريخية وذاتية المؤلف، فجوهرة الأساسي التركيز على أدبية الأدب وليس على وظيفة الأدب.

كذلك يعد أحد رواد البنيوية المؤثرين، أو كما يقول صلاح فضل: «يلخص بعض الباحثين تاريخ نشأة البنائية وتشكيلاتها المختلفة في شخصية ومغامراته العلمية، ابتداءً من مطلع شبابه في موسكو حتى تخرج على يديه أجيال من الباحثين في أوروبا

1- زكريا إبراهيم، مشكلة البنية، أو أضواء على "البنيوية"، دط، مكتبة مصر، 3 شارع كامل صدقي (الجمالية): دت، ص 8.

2- محمد مجدي الجزيري، البنيوية والعولمة في فكر كلود ليفي شتراوس، ص 35-36.

3- صلاح فضل، نظرية البنائية في النقد الأدبي، ط 1، دار الشروق، القاهرة، 1998م، ص 42.

وأمریکا، وأصبح الحجة والمرجع الأخير»¹ فهذا يدل على أنّ هذا الأخير كان مهتماً بالدراسة البنيوية منذ شبابه وهكذا أصبحت له مكانة ومرجعية في هذا المنهج.

4- رولان بارت:

ولعله أحد أهم الشخصيات التي منحت المنهج البنيوي خصوصية معينة من حيث الأفكار التي جاء بها، فالناقد والكاتب الفرنسي رولان بارت بالرغم من تجاوزه البنيوية وما بعد البنيوية من مدارس نقدية، إلا أنّنا نجد قد نظر للبنيوية بوصفها نشاطاً وتبناها منهجاً، بيّداً أنه استبدلها بمنهج آخر فردي، على أنّ سمة البنيوية لا تزال ملموسة في أعماله². أي أن اسمه ارتبط بالمنهج البنيوي، ذلك لأنّ رأيه أضحى معلماً من معالم الدرس البنيوي، هذه الآراء التي تتوزع على المحاور العلمية الإبداعية الثلاثة الرئيسية: المتلقي، النص، المبدع، والتي نبرزها على النحو التالي:

- المتلقي: يضع بارت المتلقي في بؤرة اهتمامه، ويجعله شريكاً في إنتاج النص وليس مجرد مستهلك لغوي للنص الأدبي، ذلك لأنّ بارت لا يستهدف القارئ العادي، بل يستهدف النص المكتوب، القارئ المثقف الذي يستطيع فك شفرات النص.
- النص: يتشكل النص عند بارت من نسيج لغوي، وهو بلاغ لغوي مكتوب على أساس فرز العلامة اللسانية أي أن لكل نص أدبي مظهران، مظهر دال يتمثل في الحروف وما يتكون منها الألفاظ وعبارات دالة، ومظهر مدلول، وهو الجانب المجرد أو المتصور.
- المبدع: يدعو إلى تحرير النص من سلطة المؤلف وربطه بسلطة القارئ³ وفي ضوء هذه الدعوة يمكن فهم مقولة بارت المشهورة حول موت المؤلف لأنه لا يقصد إلغاء المؤلف

1- المرجع السابق، ص75.

2- إديث كريزويل، عصر البنيوية، ص29-30.

3- بارت رولان، مدخل إلى التحليل البنيوي للقصص، تر منذر عياشي، ط1، مركز الإنماء الحضاري، سوريا: 1993م، ص 910 وما بعدها.

تماماً، وإنما يقصد عدم الرجوع لأي شيء خارج النص. وفي نفس المجال «لا يجد بارت مانعا من التسليم مع "مبرلوبونتي" بأن "النبوية" قد فتحت أمام الفكر البشري المعاصر. آفاق جديدة، ذات أبعاد واسعة، ولكنه يذكرنا بأن السرّ في هذا الفتح الكبير التي جاءت به "النبوية" هو أنها قد أصبحت بمثابة "اللغة الشارحة لكل حضارتنا المعاصرة" كما يقول بارت مرة أخرى هو أنه "ما يزال علينا أن نستكشف عالم اللغة، على نحو ما نستكشف الآن عالم الفضاء" وربما أصبح هذان الكشافان هما أهم سمة يتميز بها عصرنا»¹ ومن خلال هذا نفهم أنه اعتبر النبوية أنها موازية للغة حيث يعدها الوسيلة المستخدمة لشرح حضارتنا المعاصرة. ومن هنا يتضح أن هذا الأخير يدفع النقاد لرؤية العمل الأدبي بطريقة محايدة أي عزل النص عن جميع السياقات الخارجية، إضافة إلى هؤلاء الأعلام نجد الساحة النقدية قد اشتهرت بنقاد بنيويين بذلوا جهودهم في تطوير هذا المنهج نذكر على سبيل المثال: تزفيطان تودوروف، جان بياجيه، وجاك لاكان، وجاك دريدا..... الخ الذين اختلفت آرائهم حول الصرح النبوي.

¹- إبراهيم زكريا، مشكلة البنية أو أضواء على "النبوية"، ص 10-11.

المطلب الثالث: اتجاهات البنيوية

1- البنيوية الاجتماعية:

تتعلق النظرية النقدية لدى الماركسيين من حقيقة بديهية، مفادها أن الكتابة مستوى اجتماعي، في مستويات اجتماعية أخرى وهي لا تترجم سوى حقائق زمنها، وتدور حول ثنائيات: الأدب والحياة ، الأدب والمجتمع ، الأدب والواقع الأدب والإنسان (الذاتي والموضوعي) الأدب والتاريخ. الأمر الذي يؤكد على أنه لا قيمة للكتابة إلا عبر إضافتها إلى علاقة أخرى متغيرة في المضمون والشكل داخل مجرى التاريخ وضافه¹.

إذا بديهي أن نقول أن سييسولوجيا الأدب وواقعيته انطلقتا من أرضية ماركسية، لكن هذه الأرضية عدت في نظر الكثير صارمة. إذ قيدت الكتابة آنذاك وأجبرتها أن تكون محاكاة دقيقة لبنى اجتماعية تاريخية. وإذا أرادت أن تطلق العنان في الحركة، حركتها برؤية أكثر حركية للنص من خلال التوكيد على ملامح البؤس المصيري، وبلورة ظواهر الخلل الاجتماعي. إذاً فقد حددت الماركسية أفق الرؤية لدى الكتاب من خلال إجبارهم على صبغ كتاباتهم بمنهجية ماركسية صارمة لا يجب الحياد عنها، ألا وهي وصف الواقع الاجتماعي عبر التاريخ والحديث عن أنظمة الحكم التي يخضع له إلى جانب تسليط الضوء على الصراع الطبقي والذي بسط نفوذه على كافة أرجاء المعمورة الغربية².

وقبل الولوج في البنيوية الاجتماعية، لابد وأن نفصل ما توصل إليه شتراوس في دراساته وتحليلاته الأنثروبولوجية على سييسولوجيا المجتمعات البدائية، والتي تعامل معها بمثابة عينات أو شرائح مجهرية، حصرها في إطاره البنيوي، سيما وأننا ذكرنا أنه تقرب للماركسية معلناً ولاءه لماركس واعتناقه لمبادئ المادية الجدلية.

1- فؤاد أبو منصور، النقد البنيوي الحديث بين لبنان وأوروبا، دار الجيل، بيروت، 1985، ص109.

2- المرجع السابق، ص110.

ولعل سبب هذا التماهي هو أن شتراوس قد نظر إلى تكون بنية المجتمعات نظرية كلية تحكمها أنظمة وقوانين وعلاقات تبادلية؛ فالملكية الفردية أو الوجودية السارتيرية شكلت بنظره عائقاً يحول دون الوصول إلى تحليل البنية الاجتماعية. وبالعودة للنظر في أفكار ماركس، نجد أنه يرى الثقافة مشروطة بالبنية الاقتصادية للمجتمع، بينما رؤية شتراوس للثقافة، انبثقت من الأبنية اللاواعية للمجتمع. بمعنى أن الجدل عند شتراوس في تحليل الثقافة لأي بنية اجتماعية تتبع مباشرة من عادات وفلسفة المجموعة التي يتعلم منها الفرد، ومن إيمان هذا الفرد بالأرواح الحارسة، وأن المجتمع كله يعلم أفراده أن أملمهم الوحيد في الخلاص داخل النظام الاجتماعي الثابت يكمن في محاولة عبثية يائسة للتحرر من هذا النظام¹.

ولعل أهم الفروق التي ميزت بنوية شتراوس وتصورات ماركس، هي أن شتراوس رأى بأن الجبرية الاقتصادية تتخذ صلاحيتها عن طريق تطبيقها على المجتمعات التاريخية، بإتباع المنهج السيسيوإتاريخي، فقد كانت الماركسية تقدم تصوراً تاريخياً للطبيعة، وتصوراً مادياً للتاريخ، والممارسة الفعلية تصبح هي العملية الحيوية الواقعية بوجود الإنسان، والذي لا يكون وعيه إلا انعكاساً للممارسة التاريخية، وعلى هذا فإن وعي الإنسان وذكره ليسا من إنتاج الطبيعة؛ وإنما من صنع التاريخ².

والنظرية الماركسية وجدت أنه لا بد وأن يعكس الأدب واقعاً خارجياً عنه، في الوقت ذاته كان أغلب المنظرين للأدب قبل الثورة البنوية عالجوا الأعمال الأدبية باعتبارها تدل بكيفية ما على حقيقة واقعية خارجها، إضافة إلى التقليد الجمالي الذي اتبع من خلال نظريات أرسطو والتي اعتبرت أن الفن محاكاة وتقليداً للحياة³.

1- إديث كريزويل، عصر البنوية، ص56.

2- صلاح فضل، نظرية البنائية في النقد الأدبي، ص285.

3- أن جفرسون، و ديفيد روبي، النظرية الأدبية الحديثة، تقديم مقارن، ترجمة: سمير مسعود، وزارة الثقافة، دمشق 1992، ص25.

ولقد تضافرت جهود وآراء من جاء بعد شتراوس في التعبير عن الصيغة الاجتماعية للأدب وكيفية التعامل مع النصوص بنيوياً؛ إذ أن أغلب طروحاتهم كانت إلى حد ما تضحد ادعاءات ما قبلهم ممن سبقوهم في الوصول إلى رؤية شمولية؛ لتحديد وصف الواقع الاجتماعي والذي هو مثار جدل واسع بين أوساطهم النقدية.

لكن من وجهة نظرنا مهما اختلفت آرائهم وتباعدت وجهات نظرهم، نجدهم يتلاقون عند نقطة واحدة ألا وهي التعامل داخل المنظومة المغلقة والتي هي عبارة عن علاقات داخلية تتوحد لتشكل بنية كاملة ومتكاملة مكثفة بذاتها بمنأى عن الظروف المحيطة والتي هي خارج تلك المنظومة.

ف نجد تورين مثلاً الذي حاول السير على نهج شتراوس والتوسير وفوكو، والذين كانوا يسعون إلى الانقطاع المعرفي والتمرد على الطبقية السائدة في المجتمع وإيجاد نسق يتعارض والأيدلوجيا الاجتماعية المنتشرة عن طريق إيجاد نسق فوقي يسمو على كل الأنساق الراهنة. «أن تورين يتحدث في لغة بلاغية جارفة إلى أن علم الاجتماع نفسه جانب من جوانب الإنتاج الاجتماعي (لا يظهر إلا في مرحلة تاريخية معينة) رافضاً كل سيولوجيا القيم السائدة بذريعة أنها تلائم الأفراد أكثر ما تلائم الأنسقة»¹.

رؤية تورين اتسمت بالرؤية المبرمجة والتي توجه المجتمع إلى قوانين تحكمها أنساق تحدد السلوك الفردي والذي يخضع إلى مجموعة من التوجهات، هذه التوجهات نفسها يحددها الطراز الذي يمارس بها المجتمع الفعل على نفسه. ولا يعيننا بالتحديد ما يرمي به تورين من مفاهيم معقدة استحدثها على طريقته الاجتماعية الصارمة والذي يعيننا بالضبط وبشكل مباشر هو أنه كان يرى أن المجتمع كلما قل تصنيعه ضعفت تاريخيته وأن التقاليد السائدة فيه بمثابة أيقونات رمزية تستعار وتوظف بشكل عقلائي².

1- إديث كريس ويل، عصر البنيوية، ص 192 .

2- المرجع نفسه، ص 193.

وأما ألتوسير فقد حاول تفسير الماركسية تفسيراً علمياً بنيوياً، دون الرجوع إلى مفاهيم (الإنسان) و(التاريخ) و(الممارسة) و(الاغتراب)، فقد جعل نوعاً من التلاقي بين الماركسية والبنيوية في نزعة مضادة للإنسانية، ترفض تفسير التاريخ والمجتمع بالاستناد إلى مفهوم (الإنسان) أو (الذات). فمرد بنيته الاجتماعية تتلخص في نقل الفلسفة من الوضع الأيدلوجي إلى الوضع المادي، عبر المادية الجدلية هي (المجالات على كافة المستويات الاجتماعية: فكل مستوى من هذه المستويات بنيةً مستقلةً نسبياً، ويتحدد الكل الاجتماعي بالبنية المعقدة المكونة من الترابط المنتظم للمستويات البنيوية كلها¹.

والممارسة الاقتصادية في نظره ليست وحدها هي المحدد لهذا الكل، فالبنية تلعب في الاقتصاد الدور الرئيسي في توزيع الأدوار على الأفراد من خلال وصفهم في واقع إنتاجي يتحدد بعلاقات بنيوية معينة تفرضها طبيعة العلاقة الإنتاجية².

أما الناظر إلى فكر شتراوس يجده قد تأثر في بداية شبابه بكل من ماركس وفرويد إلا أنه جرد تصوراتهما من أبعادها التاريخية، ولا شك أن اتجاهه إلى الأنثروبولوجيا عن طريق مدرسيه، كان له أعمق الأثر على نزعه اللاتاريخية، يضاف إلى ذلك اهتمامه بعلم الاجتماع الفرعي، كما تمثل عند مؤسسه دوركايم فمن المعروف أن (دور كايم) اتخذ موقف العداء أو عدم الاكتراث من الاعتبارات التاريخية ... إضافة إلى تأثره بعالم اللغة دي سوسير، فنجد استعار منه منهجه في البحث اللغوي، وطبقه على ميدان الأنثروبولوجيا، فقد توافقت نظرة شتراوس السلوكية في مجال التاريخ مع نظرة دي سوسير السكونية في مجال اللغة، فسوسير درس اللغة بدون الإشارة إلى أصولها التاريخية، وشتراوس درسها في

1- محمد عزام، تحليل الخطاب الأدبي على ضوء المناهج النقدية الحديثة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2003، ص 38.

2- المرجع السابق، ص 39.

ضوء تطورها الزمني. وعلى الرغم من أن دي سوسير قد أكد شرعية الموقفين معاً؛ إلا أنه كان أكثر ميلاً وانحيازاً واهتماماً بالموقف الأول المتعلق بتأكيد عنصر الثبات في اللغة¹. بالعودة إلى شتراوس فقد عزز رفضه للتاريخ والمجتمع من خلال دراساته الواضحة والتي نستشف منها عرضه الدؤوب على أن دراسة المجتمعات لا بد وأن تكون ضمن استبعاد السيرورة التاريخية لها، وبعبارة أدق أن الأنثروبولوجيا الشتراوسية تقوم على دراسة الشروط اللاواعية للحياة الاجتماعية.

وختلاصة أفكار ودراسات شتراوس تتمثل بثلاثة مبادئ ألا وهي:

1. أن اللغة نفسها يجب أن تدرس علاقاتها بالنظم الأخرى (سواء منها التاريخية أو الاجتماعية أو النفسية) أي أن البنية الداخلية لها الأولوية على الوظائف الخارجية.
 2. أن الكلام، وهو الشكل المسموع من اللغة، يجب أن يحلل إلى عدد محدود من العناصر البسيطة كالفونيمات على المستوى الفونولوجي.
 3. عناصر اللغة يجب أن تحدد على أساس علاقاتها المتبادلة وفق علاقات مجدولة²
 4. إذاً فاللغة والدلالة تعتبران أحد المفاهيم الأساسية في البنيوية والتي تطبع اتجاهها الفلسفي نحو علاقتها الداخلية وفق المنظومة والنسق المحدد لها.
- وبالعودة إلى القطب المهم في البنيوية الاجتماعية "شتراوس" نجد أن رؤيته للإنجازات العقلية للجنس البشري، كما سجلت في جميع أنحاء العالم يرى أنه يوجد هناك طابع عام يميل دائماً إلى تقديم بعض أشكال النظام، فإذا كان هذا الأمر يمثل حاجة أساسية للنظام في العقل البشري إلى افتراض مثل هذا النظام للكون، ومتى توصلت البشرية لنظام يتسم بالشمول والكلية، أصبح عليها أن تتخذه منطلقاً لها في التعامل مع العالم، ويؤكد هذا اقتران

1- محمد الجزيري، البنيوية والعلومة في فكر كلود ليفي شتراوس، دار الحضارة للنشر، طنطا، 1999، ص 22.

2- جون ستروك، البنيوية وما بعدها من ليفي شتراوس إلى دريدا، ترجمة: محمد عصفور، عالم المعرفة، المجلس الأعلى للثقافة، الكويت، 1996، ص 35.

النظام العالمي الجديد بنهاية الأيدلوجيات ونهاية التاريخ وهكذا يمكن أن نكتشف في فكر شتراوس ما يعد من قبيل الإرهاصات الموحية والمؤثرة في نشأة مقولة نهاية التاريخ.¹ إن رفض شتراوس وأتباعه لأولوية التاريخ هو رفض الصدارة للبعد الزمني على المكاني ولأن تصور الأحداث المتعاقبة للمجتمعات يوقع الفيلسوف والعالم والناقد في خطأ تخيل اتصال مزعوم يسميه بالتقدم، علماً أن هذا التقدم والتعاقب للأحداث ليس على وفق تصوره وتفسيره لها.

وقد يرى أن مفهوم الإنسان لا بد وأن يموت في عالم البنيوية فكما بدأ العالم بدون إنسان فسوف ينتهي بدونه، إذ أن الإنسانية في نظره لم تعمل إلا على بث الاضطراب في النظام الأصلي وإن موت الإنسان في رأيه يحمل في طياته إيماناً خفياً بإنسانية جديدة تقدم العالم على الحياة.

تلك كانت نظرة شتراوس المغلقة نحو المجتمعات الإنسانية وكأنه يراها بشكلٍ مصغرٍ أشبه بعينة تجارب يضع عليها الفرضيات التي تناسب تحليلاته؛ فتجعلها أسيرةً لتلك النظرة المغلقة.

2- البنيوية النفسية:

ارتبطت نظرية التحليل النفسي بالنقد الأدبي ارتباطاً وثيقاً على اعتبار أن الأدب عبارة عن شعور يعبر بواسطة لغة تصدر عن مرسلها، والمتعارف عليه أن المرسل هو ذلك المبدع الذي أنتج رسالته بعد أن عاش في عالم ملؤه الإحساس والشعور، الذي من خلاله يتولد الحلم الإبداعي؛ ليتفاعل مع ثيمات الواقع الملموس، وسواء كان هذا الشعور مفرحاً أم محزناً يظل تحت مظلة الإحساس الذي اختلج في نفس المبدع؛ ليعبر عن ذاتية تجسدت

1- محمد الجزيري ، البنيوية والعولمة في فكر كلود ليفي شتراوس، ص 202 .

بإبداعه الفني وبالتالي لا يمكننا أن نحاول مجرد المحاولة أن نفصل هذا الارتباط الوثيق بين عمل المبدع وتجربته الشعورية.

أما على الصعيد البنيوي فقد تعرضت هذه العلاقة لتقلبات كثيرة نظراً للتغيرات في الممارسة النقدية التي أحدثتها تلك التطورات في مجال النقد والتحليل النفسي، ونتيجة لذلك انتقلت البؤرة النقدية من سيكولوجية المؤلف-أو بديله، أي الشخصية إلى سيكولوجية القارئ، ومنها إلى العلاقات بين المؤلف والقارئ والنص واللغة - والتسمية وضعها فرويد عندما بدل نهجه العلاجي في عام 1886 كعلاج يبغي الكشف عن الكبت والجهر بما كان قد جرى إنكاره، والسبب الذي يجعل التحدث عن الأدب أمراً مناسباً للتحليل النفسي، هو أن لديه ما يقوله عن اللغة، فهو أولاً وقبل كل شيء العلاج الناطق" إذ أن العلاج ينطلق من الحوار بين المريض والمحلل، أما مادة التشخيص فهي لغوية إلى حد بعيد¹.

3- البنيوية الفلسفية:

إذاً ظهرت البنيوية كاتجاه للبحث في العلوم بدءاً بعلم اللغة واستقرت بالأنثروبولوجيا والبحث في البنى الاجتماعية مروراً بعلم النفس، وحقق إنجازات لا يمكن لنا غض الطرف عنها في العلوم الأخرى ويمكن القول إن الإنجازات البنائية في العلم قلما خلت من أبعاد فلسفية، وربما اتضح ذلك فيما ذكر آنفاً من سرد النتائج التي توصلت إليها الأبحاث البنائية في مجالاتها المختلفة اللغوية، الأنثروبولوجية الاجتماعية، والنفسية. صحيح أن البنيوية قد ظهرت في الأصل كتعبير عن حاجة الإنسان المعاصر إلى "نظرية في العلم" ولكن من المؤكد أن إعطاء الصدارة أو الأولوية للنظر والبحث عن "لغة" علمية قصوى لم يحولا دون ظهور البنيوية بمظهر الموقف الفلسفي وبالتالي نجدها ترفض الفلسفات بكل ما جاءت به من رؤى قبلها لتولد لنا صورة جديدة من صور "التفلسف" البنيوي.

1- آن جفرسون ، وديفيد روبي ، النظرية الأدبية والحديثة ، ص 208 .

ويتضح هذا الموقف الفلسفي من الحوار المكثف بين أقطاب البنيوية أمثال ليفي شتراوس وبين الفلاسفة وعلى رأسهم الفيلسوف الوجودي جان بول سارتر. ونقتصر هنا على القول بأن هذا الحوار قد أسفر عن تطرق البنائيين لموضوعات فلسفية من الدرجة الأولى؛ فالتقدم في نظرهم أصبح "خداعاً بصرياً"، والمبادرة التاريخية هي محض "سراب" والفكر ليس سوى سهم خاطف يخترق الإنسان كومضة البرق دون أن يُعرف له بداية (أصلاً) أو نهاية..، باختصار أصبح الإنسان مفعولاً به لا فاعلاً.

لم يكن هذا غريباً على اتجاه مولع بالنسق systeme فالبنائيون على الرغم مما اتصفوا به من صراحة في التفكير، إلا أنهم يميلون إلى تفضيل النظام على التغيير، ولهذا فهم ضد التاريخ، لأن التاريخ يُهدم، أما النسق فيتصف بالثبات، والنسق الغفل هو سيد الإنسان العائش وهو لهذا يقترن بصفة الإجماع.

يقول ليفي شتراوس: "لكي نتوصل إلى الواقع ينبغي أن نستعبد المعاش" وإذا استعبدنا المعاش، فإننا نستعبد تعبيرات مألوفة عاشت عليها الفلسفة حتى الآن مثل: "أنا أفكر" "أنا أتحدث" "أنا أعمل" ويتبع ذلك أيضاً رفض أي نشاط تلقائي للشعور¹.

ونلاحظ أن البداية للبنيوية كانت تستهدف الحذر والحرص على الموضوعية فالنسق هو عبارة عن تفكير بارد يفتقر إلى الحماس، لا علاقة له بأشخاص، شديد بعيداً عن الذات الفردية أو الجمعية، ولا يعترف بوجود ذات قادرة على التعبير وعلى العمل المستقل.

هذا هو الموقف البنائي الفلسفي الذي انبثق عن تمسك البنائيين بإنجازات العلم وعن رفضهم لفلسفات الذات، والذي أصبح منظوراً نكرياً يحمل بين طياته انقلاباً فلسفياً حقيقياً، ليمثل ثورة من نوع جديد.

4- البنيوية النقدية:

الأدب ظاهرة اجتماعية بحكم طبيعة الإنسان الذي ينتجه ويتعامل معه، والشاعر أو الأديب أو المبدع عضو فعال في المجتمع، يعيش في مواصفات اجتماعية معينة، وله علاقات مع جمهوره الذين يتلقون منه ضمن الحدود الفكرية التي ينطلق منها، والعلاقة بين الأدب والنقد، (الجمهور المتلقي) والأديب علاقة ترابطية بحسب ما نعتقد.

فالأدب بالنسبة للمبدع هو نتاج ظروف اجتماعية معينة، أو انفعالات نفسية انبثقت من خلال كائن إنساني ارتبطت هذه الانفعالات سواء حزينة أو مفرحة بحالة ذلك المبدع التي لا تتفك عنه، فهو وثيقة رسمية تشهد له بذلك الإبداع، والذي يصدر هذه الوثيقة ليؤكد على ملازمتها الأبدية لهذا المبدع هو النقد الأدبي، الذي يضعها على محك الحكم والتقييم. وقد يختلف الحكم من ناقد لآخر ومن متلقٍ لآخر، بيد أن هذا الاختلاف لا يفسد للود قضية، ألا وهي أن العمل الأدبي هو نتاج أصدره مبدع من خلال لغته الخاصة والتي تميز بها لتكون شاهدةً عليه وعلى عصره وواقعه بكل ما يحمله من قضايا وأحداث على مر العصور.

نعم هذا الاعتقاد كان سائداً لردح من الزمان، لا يختلف عليه مذهب من المذاهب النقدية التي عهدناها وألفنا التعامل معها وفق الأعراف النقدية المتداولة، قبل ظهور البنيوية والحدثة بكل معانيها، التي حملتها إلينا توجهات عدة اختلفت في تعاطيها الصريح مع العملية الإبداعية وانفقت على مبدأ نقدي واحد، ألا وهو إقصاء كل ما يتعلق بالظروف النفسية والاجتماعية والعوامل المؤثرة، سواء تاريخية أم حقائق واقعية مستمرة وفاعلة في الصيرورة الإنسانية، والتعامل الصريح والمجرد مع الأداة الفاعلة لهذه العملية (اللغة) والتي هي بالنظر البنيوية جبهة صاحبة الخبر اليقين.

لقد وقفت النزعة البنيوية في الأدب في وجه هيمنة الدراسة التاريخية والإنسانية الاجتماعية ودعت إلى تحليل النص الأدبي انطلاقاً من شبكة العلاقات التي يقوم عليها داخلياً، وحرمت على الناقد اللجوء إلى أية أنوار خارجة عن النص لا تحتاجها الدراسة.

ويجب الاعتراف للنزعة البنيوية بالفضل في كبح جموح الدراسة التاريخية وفي نقل مركز الثقل في دراسة الأدب إلى داخل النصوص بدلاً من إبقائها في دائرة الظروف المحيطة به؛ إذ يتضح مما تقدم أن النقد البنيوي ما هو إلا إجراء له تكتيك معين يتخذ أدواته في مهمة الكشف عن النص وما بداخله من عناصر دلالية؛ فهو يدعو إلى كشف الداخل وفق النظام البنيوي دون الحاجة للتطرق إلى المحيط الخارجي وانعكاساته المختلفة عليه، وذلك واضح من خلال تعويل البنائيين الصريح على التعامل مع اللغة كمادة أولية مجردة.

المبحث الثاني: المنهج البنيوي على مستوى التطبيق

أراد الناقد احمد يوسف أن يطبق المناهج النقدية الحديثة بالأخص المنهج البنيوي والسيميائي، على الشعر الجزائري المعاصر وهذا من خلال كتابه (يتم النص والجنالوجيا الضائعة)، فعمد أن يستغل كل الآليات النقدية، ولنوضح الرؤية أكثر أردنا أن ندرس كل منهج وطرق تحليله وآلياته وأدواته الإجرائية على حدي ليتسنى لنا تحديد الممارسة النقدية التي انتهجها الناقد في التحليل، وإبراز خصائصها وسماتها.

المطلب الأول: المنطلقات المنهجية للناقد

اقر الناقد في مقدمته بأن القراءة أمراً بديها يصعب التسليم بها فعرفها وقال: "كونها نتاج ذات متفاعلة مع موضوع جمالي قوامه التخيل والصنعة الفنية، وهذا التفاعل مشروط بعوامل متعددة: منها ما هو إرادي ومنها ما هو غير إرادي ومنها ما هو "بين بين". ويخضع لشروط تاريخية واجتماعية ونفسية تتفاوت من قارئ إلى آخر، وتتحكم في قراءته للنص الأدبي"¹.

وبعدها مباشرة حدد نوعية للقراءة التي اعتمدها وهي القراءة النسقية، والنصانية فقال عن القراءة النسقية أنها "تنطلق من منطلق بنوي تجعل من هذا القارئ مجرد مستجيب لجاذبية هذه السنن في النص من قبل الأنساق اللسانية"². وهذا بإثارة منهجين: وهما المنهج البنيوي التكويني، والمنهج البنيوي الموضوعاتي. وذلك في قوله: "إننا كنا ننتصر صراحة للنص بدل المؤلف الذي لا نقول بموته بل بوضعه بين قوسين"³.

¹ - أحمد يوسف، يتم النص والجنالوجيا الضائعة (تأملات في الشعر الجزائري المختلف)، منشورات الاختلاف، الجزائر

العاصمة، الجزائر، ط1، 2002، ص11

² - المرجع نفسه، ص11.

³ - المرجع نفسه، ص 16.

ويقول في موضع آخر: "إننا ننطلق في قراءتنا للتجارب الشعرية من زاوية فنية، ولا ينصب نقدنا على الأبعاد الفكرية والإيديولوجية، إلا إذا أضرت بأدبية الأدب"¹ ويصرح برفضه للقراءات السياقية.

في حين آخر يرفض المنهج البنيوي الشكلاني أو الصوري، والطرح المحايث، ويقول: "إننا نفضل وجهة نظر جاكسون التي لا تستسلم للقراءة المحايثة المتكثرة للعامل التاريخي في تقديم تصور لتاريخ الأدب على نحو يخالف الوجهة النقدية التي تبناها الشكلانيون الروس، ولا تتخلى عن النسق الذي ينبغي طلبه ضمن التصور التعاقبي لتاريخ الشعر، وهكذا نخوض في البحث عن نسقية هذا الشعر في ظل هذا التصور الذي لا يقع أسير النظرة المحايثة، ويتبنى أطروحة النسق المفتوح"².

فهذا النسق المفتوح دفعه إلى البحث عن المعنى فيقول: "فالدلالة ليست معطاً أولياً قاراً في بنية النص كما تحاول أن توهمنا بذلك أطروحات الشكلانيين الروس، والمقاربات البنيوية الصورية"³.

وأعلن رفضه للنسق المغلق والقراءات البنيوية المحايثة وكل ما جاءت به البنيوية الصورية دفعته إلى اختيار المنهج البنيوي التكويني، ولكن هذا الاختيار كان يفرضه النص، وليس عبارة عن إسقاط لهذا المنهج على النصوص، ويؤكد هذا بقوله: "ونحن هنا لا ننطق في مقاربتنا من اختيار بنوي تكويني مسبق وإن كنا نأخذ ببعض مقولاته التي يمكن أن تصلح لإظهار النواة الصلبة التي يتحرك منها تاريخ الأدب بعامة وتاريخ الشعر بخاصة"⁴. ومن أهم مقولات الناقد عن المنهج البنيوي التكويني "فنحن ملزومون بالمصادر (Postulte) النصية التي لا تغفل الخارج الداخلي، لكنها تحاول أن تتأمله تأملاً

1- أحمد يوسف، يتم النص والجنالوجيا الضائعة (تأملات في الشعر الجزائري المختلف)، ص 17.

2- المرجع نفسه، ص 15.

3- المرجع نفسه، ص 13.

4- المرجع نفسه، ص 12.

جوانياً¹، فهو بذلك ينفي أن تكون مقارنته ذات طابع خارجي سياقي، بل "نابعة من قراءة عميقة ومستتيرة للنصوص الشعرية، ولا تنطلق من خلفيات إيديولوجيا مبيتة، إن هذه القراءة لم تضع ضمن إستراتيجيتها منطق المحاكمة لمرحلة من مراحل تاريخ الشعر الجزائري ولم تقاضل بين جيل وجيل آخر مفاضلة تبغي التسفيه"²، إضافةً إلى ذلك اعتمد المنهج البنيوي الموضوعاتي وأبرز نوع من أنواع الشعر الجزائري الذي سماه بشعر اليتيم، أو الشعر المختلف. لإظهار تيماته ومُدارسة هذه التيمات، التي لم تحض بدراسة جادة من قبل فيقوله: "ألا يخشى الدارسون أن تتحول بعض الدراسات للشعر الجزائري إلى مجرد سرد لموضوعاته، والوقوف على مضامينه حيث لا ترقى إلى أن تكون تيمات تستلزم اختيارات منهجية حدائية"³. فركز في دراسته على رصد التيمات المهيمنة في كل نوع شعري داخل المشهد الشعري المتميز باختلافه⁴.

ومن هنا نستنتج أن الناقد قد ربط بين منهجين، المنهج البنيوي التكويني والمنهج البنيوي الموضوعاتي لمدارسة الشعر الجزائري الحديث، ويؤكد ذلك في قوله: "هذا ما تجسده المقاربات الموضوعاتية والبنوية التكوينية لدى لوسيان غولدلمان من جهة والسيميائيات التي تحتكم إلى الخلفيات الاجتماعية التي أقرها دوسوسير في دروسه حول 'اللسانيات العامة' من أجل مدارسة السيميوزيس التي تمثل سيرورة العلامات وحركتها وتحولاتها ونشاطها على النحو الذي نلفيه لدى رولان بارت وجوليا كريستيفا وأمبرتو ايكو وغيرهما"⁵، ففي هذا المبحث سنلقي نظرة عن المنهجين البنيوي التكويني والموضوعاتي.

¹ - يوسف، يتم النص والجنالوجيا الضائعة (تأملات في الشعر الجزائري المختلف)، ص 83.

² - المرجع نفسه، ص 17.

³ - المرجع نفسه، ص 15.

⁴ - المرجع نفسه، ص 23.

⁵ - المرجع نفسه، ص 16.

فعند اختياره للمنهجين البنيوي (التكويني-الموضوعاتي) نجده قد حصر مدارسته للشعر الجزائري الحدائي فقط، والذي سمّاه بالمختلف (شعر اليتيم)، وعارض كل ما تناول الشعر الجزائري القديم بمناهج حدائية منهم الناقد عبد المالك مرتاض¹.

فمن خلال اختياره للمناهج النقدية الحدائية نجده مقتنع أنها تصلح لمدارسة الشعر الحدائي، ويظهر هذا في قوله: "وتأتي دراستنا لتكمل مسار الشعر الجزائري بالوقوف على الشعر الحدائي بعامة وشعر اليتيم بخاصة"² مركزا علي شعر اليتيم (الشعر المختلف). وهذا نظرا لبقاء النص المختلف محروما من كل حظوة نقدية تقف على شعريته³، محددًا مقارنته بأنها تعتمد على المناهج النصية دون الاهتمام بالأسماء في حد ذاتها⁴.

وهدفه بذلك انه: "تأتي هذه القراءة لكي تحاول الاقتراب من هذا النص الشعري المختلف، وتقف على بلاغته، دون التغاضي عن هنائه، وتبرير عثراته بحجة التعاطف معه، لأنه يتيم، ولا يملك جينالوجية يتكئ عليها، لأننا ننظر إلى اليتيم من منظور فني، ونتعامل معه على أنه تيمة، ونحاول إدراكه إدراكا جماليا، ونتعامل مع جينولوجيته بوصفها ظاهرة ثقافية لها تجلياتها الفنية في النص الشعري وأداة التحليل"⁵، فبحثه على التيمات يجسد المنهج البنيوي الموضوعاتي، وربطه الظاهرة الأدبية بالثقافة وأحوال المجتمع السياسية خاصة يجسد المنهج البنيوي التكويني، وقد حاول أن يبتعد عن الطرح التاريخي في تتبعه لتيمة 'اليتيم' وتمظهراتها في الشعر الجزائري الحديث، مع أنه يؤكد انصرافه وتركيزه على شعر اليتيم⁶ وإذا ما كان المنهجان البنيويان هما منطلقه في الطرح النقدي، فإن عملية عملية استثمارهما في مدارسة النص الشعري الحدائي، وجملة الأدوات الإجرائية، والآليات

¹ - يوسف، يتم النص والجينالوجيا الضائعة (تأملات في الشعر الجزائري المختلف)، ص18.

² - المرجع نفسه، ص19.

³ - المرجع نفسه، ص78.

⁴ - المرجع نفسه، ص87.

⁵ - المرجع نفسه، ص96-97.

⁶ - المرجع نفسه، ص24.

المتاحة التي وظفها الناقد، وطريقة التحليل المعتمدة من لدنه لا بد أن تؤخذ بعين الاعتبار لنتبين كيفية استثماره لهذا المنهج (البنوي التكويني والموضوعاتي). وهذا ما حدا بنا إلى التطرق إلى الإجراء النقدي الذي اتخذته الناقد في تحليله.

المطلب الثاني: الإجراء النقدي

أولا: المنهج البنيوي التكويني

انطلق الناقد في دراسته للشعر الجزائري الحديث من منطلق إقصاء الجوانب الخارج نصية في تناوله حيث يقول: "إننا ننطلق في قراءتنا للتجارب الشعرية من زاوية فنية ولا ينصب نقدنا على الأبعاد الفكرية الإيديولوجية إلا إذا أثرت بأدبية الأدب"¹، ورغم هذا القول نجده يربط بعض الظواهر الفنية ربطا آليا بالوقائع السياسية خاصة والاجتماعية والثقافية وحتى العالمية فيقول عن الشعر الجزائري الشعبي: "ولا غرو أن يكون الشعر الشعبي رصيда أدبيا وتاريخيا يمكن أن يعين الباحثين في كتابة التاريخ الثقافي والاجتماعي على وجه الخصوص، فهو من هذه الناحية وثيقة غنية سيجد فيها الباحثون ضالتهنم"²، ومثال آخر على ذلك رده ظاهرة الشعر الحر في الجزائر إلى عوامل خارجة عن المجال الأدبي والنصي يقول: "بيد أن وضعية المجتمع الجزائري الذي كان قليل الثقافة والمعرفة لحرمانه من التعليم زيادة على أنه مجتمع محافظ لم تسمح له بالخوض في حركة التجديد"³، كما يعتمد في بيان بعض الظواهر النصية على آراء الشعراء حول شعر الإيديولوجيات⁴، ومن هنا ظهرت دراسته لأدبية النصوص التي حرص على إبرازها إلا في تناوله لشعر اليتيم الذي كان يلهج بالنصية وهذا لأن "الخطاب النقدي حاول أن يقدم النص الشعري الجزائري المعاصر من زاويتين اثنتين:

الأولى: تعتمد على حيثيات تاريخية بحثة لظهور النص.

¹ - أحمد يوسف، يتم النص والجنالوجيا الضائعة (تأملات في الشعر الجزائري المختلف)، ص 17.

² - المرجع نفسه، ص 31.

³ - المرجع نفسه، ص 61.

⁴ - المرجع نفسه، ص 75.

والثانية: تعتمد على ربط هذه الحثيات بانية المساءلة المرتبطة بالواقع السياسي والإيديولوجي الذي ولد تغير في النص¹.

كما ربط الناقد تيمة الموت والإلغاء الإرادي للجسد بالأوضاع السياسية لبعض الشعراء وبعض التفصيل الكثير لهذه الأوضاع استدرج ذلك في قوله: "لا نروم مقارنة الجسد مقارنة سوسيلوجية وأنثربولوجية في آن واحد، وذلك من منطلق القراءة البرانية التي تحكم المتصورات السياقية في إنتاج أحكامها النقدية، ولهذا تغدو قراءة إيديولوجية تحاول أن تنتصر لثقافتها، وتبرزهن التجربة الشعرية"²، فهذه المقارنة البرانية هي فن يتحكم فيه محددان أحدهما الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وثانيهما قوانين و قواعد الفن نفسه.

ونجد بعض آليات المنهج البنيوي التكويني في الباب الثالث والمعنون ب: (السمات الدلالية لشعر اليتم)، وفيها أبرز البنية اللغوية لبعض التيمات ومثال ذلك الجدول الذي أورده لشعراء هذا النوع والصيغة الصرفية والنحوية والدلالة الظاهرة ثم حاول أن يقدم تحليلا وتفسيرا لهذا الجدول³.

وبرر منذ البداية في دراسته لشعر اليتم أنه لم يرتق إلى أن يبلور رؤية العالم حسب ما جاء به لوسيان غولدمان (goldman) الذي يصفها بأنها أداة مفهومية للعمل الضروري لفهم التعبيرات المباشرة لفكر الأفراد.

¹ - عبد القادر رابحي، النص والتفعيد (دراسة في البنية الشكلية للشعر الجزائري المعاصر إيديولوجية النص الشعري) ج1، دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر، ص 14.

² - أحمد يوسف، يتم النص والجنالوجيا الضائعة (تأملات في الشعر الجزائري المختلف)، ص 199.

³ - محروس محمد القللي، البنيوية التكوينية للوسيان جودمان بين الممارسة والمرجعية ضمن كتاب (المرجعيات في النقد والأدب)، مؤتمر النقد الدولي الثالث عشر، من 27الي 29 تموز 2010، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2011، ص 127.

تناول الناقد للبنية الفنية:

أراد الناقد أن يبرز البنية الفنية للشعر المختلف و"التي تختلف من نص إلى آخر حسب التركيب الذي تظهر فيه، فهي تتفاوت بين البناء الدائري والبناء الحلزوني، وهو قليل بخلاف البناء المفتوح وأن هذا النوع من بناء القصائد الغنائية شائع يعبر عن إحساس الشاعر بلانهائية التجربة، وباعتماده تنتهي القصيدة إلى خاتمة غير نهائية، أي تبقى مفتوحة"¹، إن البناء المفتوح عند الناقد يظهر في قصائد الشعراء وهو البناء الغالب على النص الشعري المختلف في الجزائر². أما عن "أدب ما بعد الحداثة - إذا سلمنا جدلا بهذا المصطلح العائم- لم يضيف جديدا إلى اللغة أو الإيقاع على صعيد البنية الفنية لشعر الحداثة الذي يملك مشروعية هذه التسمية، لأنه خلخل البناء الإيقاعي للقصيدة العربية"³ متحدثا عن البنية الإيقاعية والبحور والتفعيلات.

ولم يكتف بإبراز البنية اللغوية والفنية لشعر المختلف فقط بل حاول أن يدرس بنيته الإيقاعية باعتبارها "تمزج بين الشطرين والشكل الذي يعتمد التفعيلة الواحدة أو المزدوجة لإيقاعه الشعري ثم هناك تنويعات إيقاعية لا تخرج عن الإيقاع الذي تصطنعه القصيدة التقليدية، ولا تضيف جديدا للتجربة الشعرية من حيث البنية الإيقاعية، يمكن أن ندرج حتى التجارب ذات النزعة الرومانسية التي لم تهتد بعد إلى عتبة الحداثة الشعرية، وهناك قصائد ذات نظام الشطرين أقوى بناء من الشعر الحر أو المنثور، وذلك ما نلمسه في شعر عبد الله حمادي والوزير دردوخ، وبين يوسف جديد، وفي المقابل نلاحظ خفوتا أو إخفاقا في استثمار الطاقات الإيقاعية في اللغة الشعرية والتركيز على دفق الموسيقى الداخلية وهنا لا بد أن يكون الشاعر على درجة عالية من الصنعة "والحذق" و"المهارة" في توظيف الرمزية الصوفية التي لا نستبعد أن تكون في بعض الحالات عفوية وتلقائية في الإبداع

¹ - أحمد يوسف، يتم النص والجنالوجيا الضائعة (تأملات في الشعر الجزائري المختلف)، ص 248.

² - المرجع نفسه، ص 249.

³ - المرجع نفسه، ص 274.

الشعري"¹، وهذا ينطبق على معظم الشعر العربي المعاصر لأن الموسيقى العربية لم تعرف هذه الصيرورة التاريخية وكذلك الشعر.

تناول الناقد للبنية النصية:

أما البنية النصية للشعر اليتيم لم تحقق إبدالا نوعيا على صعيدي شكل التعبير وشكل المحتويات ضمن إطار الخيال الثري بمواصفاته المرجعية².

وتناول انزياحات اللغة الشعرية لشعر اليتيم حيث خلص إلى أن "انزياح اللغة الشعرية من مقامها البلاغي المكثف إلى مقام اصطناع اللغة العادية التي تتمفصل فيها القصيدة بالحكاية وبساطة الصورة الأدبية التي تتخلى عن سيولة الرسوم البلاغية من تمثيل وكناية واستعارة، يدفعها إلى الاقتراب من بلاغة السرد القصصي، وهذه النزعة تغلب على بعض قصائد عبد الله العشي، وسعيد هادف، ولخضر بركة، وعز الدين ميهوبي، وعثمان لوصيف، بل إنها تكاد تسم الشعر المختلف بميسمها"³.

وقال أيضا: "وتحمل هذه الملصقات ضربا من التعبير الشعري غير المؤلف، لأنه يركز على الحدث أكثر مما يشتغل على اللغة التي ينبغي لها أن تقوم على الانزياح أو خرق السائد لغويا، بيد أن الملصقات تمارس انزياحا على صعيد بنية التعبير الشعري"⁴ وهنا يحاكي عز الدين ميهوبي في ديوانه الملصقات لافتات احمد مطر.

1- أحمد يوسف، يتم النص والجينالوجيا الضائعة (تأملات في الشعر الجزائري المختلف)، ص 257.

2- محمد مفتاح، مفاهيم موسعة للنظرية الشعرية (اللغة-الموسيقى -الحركة) نظريات و أنساق المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ج2، ط2010، 1، ص 265 .

3- أحمد يوسف، يتم النص والجينالوجيا الضائعة(تأملات في الشعر الجزائري المختلف)، ص 249-250.

4- المرجع نفسه، ص 156.

وفي موضوع آخر تناول الانزياح من اللغة الشعرية إلى اللغة النثرية فقال: "إن الانزياح في مثل هذه النصوص لا يتوقف على طبيعة اللغة المجازية، وإنما ينطلق من اللغة الشعرية لينزاح إلى اللغة النثرية دون أن يفقد مقومات الفعل الشعري وبخاصة الجانب الإيقاعي"¹.

توظيف الناقد رؤية العالم:

وظف الناقد آلية 'رؤية العالم' قائلا: "إن رؤية العالم بتعبير لوسيان غولدمان تقتضي مهارة وإبداع لكي تبدو البنية الشعرية متماسكة وشاملة تجمع بين الوعي الفعلي والوعي الممكن، وهنا تتجلى عبقرية الشعراء، ولكن القليل من تحصل له هذه الملكة في القبض على هذه الرؤيا، وأحسب أن جيل اليتيم مازال أمامه الكثير للوصول إلى كتابة نص مستحيل يعبر فنيا عن هذه الرؤيا"²، وتحدث أيضا قائلا: "تشكل سيميائية الاضرار في خطابه الشعري تيمة مهيمنة لها أبعاد فكرية وفنية يمكن أن تكون لديه ما اصطلح عليه لوسيان غولدمان برؤيا العالم. إن هذه الرؤيا للعالم التي تتعالق بالعرفانية في تعبيرها، فهي التي سمحت للغماري أن يكون صوتا متفردا داخل خريطة (شعر السبعينيات)"³.

ويؤكد في موضع آخر على أن النص الشعري المختلف لم تختمر تجربته بعد حتى يخرج لنا بفكرة ترقى إلى رؤية العالم فيقول: "لم تتوافر لدى هذا النص بعد المدة الزمنية اللازمة لبلورة رؤيته للعالم بتعبير لوسيان غولدمان"⁴.

¹ - أحمد يوسف، يتم النص والجنولوجيا الضائعة (تأملات في الشعر الجزائري المختلف)، ص 254.

² - المرجع نفسه، ص 269-270.

³ - المرجع نفسه، ص 231.

⁴ - المرجع نفسه، ص 189.

ثانيا: المنهج البنيوي الموضوعاتي

صَعَبَ علي الناقد المقاربة التي تحيط بخريطة يُتم هذا النص الشعري المختلف الذي هو متحد في الخارج ومتعدد من الداخل. ووحدته في الخارج يحتمها البعد الجغرافي للمكان الذي ينتمي إليه (قطر الجزائر)، ومتعدد من الداخل، فهناك مشاهد شعرية مختلفة لهذا النص، تتباين أشكالها التعبيرية، وكذا لغتها. فكل مشهد من هذا الشعر الجزائري له ملامحه العامة وخصائصه النوعية، ونجد أن الناقد قد قام بتقسيم الشعر الجزائري الحديث إلى ستة أقسام هي:

- 1/ الشعر الشعبي (المكتوب بالعامية)، 2/ الشعر المكتوب بالأمازيغية، 3/ الشعر المكتوب بالفرنسية، 4/ الشعر الحديث (ميلاد شعر التفعيلة)، 5/ شعر السبعينيات والبحث عن الظل، شعر اليتيم¹.

¹ - أحمد يوسف، يتم النص والجنالوجيا الضائعة (تأملات في الشعر الجزائري المختلف)، ص 23.

البحث عن التيمات في الشعر الجزائري المعاصر:

حاول الناقد أن يركز علي قسم شعر اليتم لأن به تيمة 'اليتم' فيقول: "إننا ننظر إلي اليتم من منظور فني، ونتعامل معه على انه تيمة، ونحاول إدراكه إدراكا جماليا"¹، علي غرار باقي الأقسام، والملاحظ أن "النص الشعري الحديث الذي أعلن انتماءه لقيم محددة سلفا لم يعانٍ من مشكلة اليتم والتيه بخلاف النص الشعري المختلف الذي يردد كثيرا تيمة 'اليتم' للإشارة إلى غاية غياب جينالوجية شعرية ينتسب إليها، ونصطنعها أداة إجرائية للتحليل"² وقال ايضا: "ينقطع (شعراء السبعينيات) مع (جيل اليتم) في مسالة الافتقار إلي ذلك الرصيد من التراكم الشعري الوطني الذي يستندون عليه في تجاربهم، لان فضيلة التراكم ضرورية لخلق هوامش كبيرة لحرية الابداع. إن اليتم يبدأ من هذا الشرح الواسع داخل السلالة الشعرية"³. فالناقد هنا يقر بأنه استخدم تيمة 'اليتم' كأداة في بحثه لكل أنواع الشعر الجزائري الحديث.

فنجده مثلا يحدد التيمات التي ميزت الشعر الشعبي بقوله: "لم يخرج هذا الشعر عن موضوعات التي طرقها الشعر العربي القديم سواء أتمثل ذلك في هجاء القبائل بعضها ببعض أما في المدح وما شاكل ذلك من الأغراض المعروفة في تاريخ الشعر العربي"⁴. وبحث عن تيمة الهوية الضائعة عند الشاعر لخضر فلوس⁵، وتيمة الوطن في الشعر المختلف بعد ما حاول أن يستقرى هذه التيمة في الأنواع الشعرية ليخلص إلى الرأي القائل: "تلقي شبه غياب أو خفوت بين لتيمة الوطن في المعجم الشعري عند بعض شعراء اليتم" حيث لا تتكرر كثيرا لدى بعضهم"⁶.

¹ - أحمد يوسف، يتم النص والجينالوجيا الضائعة (تأملات في الشعر الجزائري المختلف)، ص 96-97.

² - المرجع نفسه، ص 123.

³ - المرجع نفسه، ص 92.

⁴ - المرجع نفسه، ص 30.

⁵ - المرجع نفسه، ص 98.

⁶ - المرجع نفسه، ص 114.

البحث في المعجم الشعري:

وقد اعتمد كثيرا في رصد هذه التيمة أو غيرها على المعجم الشعري. وهذا لأن "الحديث عن المعجم اللغوي هو فص الكلام عن الدلالة اللغوية إلا أن ذلك ليس أمرا سهلا"¹ فتناول الناقد تيمة التيه فقال: "تواردت تيمات خاصة في المعجم الشعري مثل التيه أو المتاه، والصمت والرحيل والسفر وغيرها من المفردات الشعرية التي تحيل إلي الضياع والاعتراب والوحدة وفقدان الانتماء ورفض التمثهه وهي احدي السمات الخاصة للنص الشعري المختلف"² وهذا عند علي ملاحى³ في معجمه الشعري.

وكذلك يقول ابن يوسف جديد عند بيانه اليتم "يتجلي اليتم في العوده إلي الجذور البدوية للذات التي نستكشفها من سياق المعجم الشعري الذي ترد فيه (وبر الخيام-المزار-طقوس البدو - التعميد- ماء الشيخ- الصلوات- دثار المهدي- الوشم). هذه هي اللغة التي تحدد نسبه"⁴. نسبه"⁴.

وتحدث أيضا عن فعل القراءة وقال: "لا ينظر هذا النص من فعل القراءة ان يبرر عثراته، ويزين علي بعض مظاهر الرداءة فيه، ويغطي علي ضعف ادواته الفنية، وضحالة رؤيته ومنها علي وجه الخصوص تعامله مع اللغة والايقاع، لان اللغة هي مرتكز اي تجربة شعرية تصبو الي التجاوز، وافراغ المعجم الشعري من دلالاته السابقة، واحلالها بدلالات جديدة تتضمن الايحاء"⁵

كما نجده قد استعان في بحثه عن تيمة التيه بالمرايا ودورها في الشعر وذلك وكذلك تيمة التيه أو المتاه لأنها تمثل الصورة الشعرية.

¹ - محمد مفتاح، مفاهيم موسعة للنظرية الشعرية (اللغة-الموسيقى -الحركة) نظريات و أنساق، ص 265.

² - المرجع نفسه، ص 127.

³ - أحمد يوسف، يتم النص والجينالوجيا الضائعة (تأملات في الشعر الجزائري المختلف)، ص 127.

⁴ - المرجع نفسه، ص 147.

⁵ - المرجع نفسه، ص 283.

الصورة الشعرية:

إن الصورة الشعرية تعد عنصرا فعلا وجوهريا في بناء القصيدة فهي تعتمد اعتمادا كبيرا في عملية التشكيل الشعري، فهو يُعطي للقصيدة كيانا ظاهرا مرئيا في اللغة، وبمنحها حضورا ماديا على صعيد التلقي البصري¹.

كما رصد تيمة (المرأة) التي نجدها في عناوين القصائد والدواوين لدى شعراء شعر اليتيم، فيقول: "المرأة استعارها النص الشعري الجزائري للتعبير عن نتيجة الوهم الذي استكشفه وحالة من الوعي قريبة من الشقاء والفجيرة"²، واستعان بها محمد مرتاض لتبيان أهم الموضوعات في شعر الطفولة³، وعن غرابة اللغة لسلمى رحال ومصطفى دحية عن عن أفق توقع القارئ الذي اعتاد على الصنعة المحبوكة بالصورة الشعرية الموعلة في العماء، والتنميق في اختيار الوحدات المعجمية⁴.

ويقول الناقد أيضا " ينطلق من اللغة الشعرية لينزاح إلي اللغة النثرية دون أن يفقد مقومات الفعل الشعري وبخاصة الجانب الإيقاعي، والصورة الشعرية على هذا النحو تتحرر من الاستغراق في الأجواء الرومانسية"⁵ حيث يتحدث عن الانزياح في النصوص التي بها اللغة المجازية بكثرة تظهر صورتها الشعرية ذات طابع رومنسي.

¹ - ينظر: محمد صابر عبيد، سيمياء الخطاب الشعري من التشكيل إلى التأويل (قراءات في قصائد من بلاد النرجس)، ضمن مقال (تقانات الصورة الشعرية من المشهد إلى اللوحة المرآوية، قراءة في قصيدة (الفراشة) للشاعر حسن سليفاني، ص 215.

² - أحمد يوسف، يتم النص والجينالوجيا الضائعة (تأملات في الشعر الجزائري المختلف)، ص 127.

³ - محمد مرتاض، الموضوعاتية في شعر الطفولة الجزائري (عند: الغماري - ناصر - حرز الله - مسعودي)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1993، ص 10.

⁴ - المرجع نفسه، ص 152.

⁵ - أحمد يوسف، يتم النص والجينالوجيا الضائعة (تأملات في الشعر الجزائري المختلف)، ص 254.

الحكم النقدي عند الناقد:

صدر الناقد أحكاماً حول بعض التجارب الإبداعية منها قوله عن حكيم ميلود فيقول: "لقد كان حكيم ميلود أحد الشعراء الأكثر إحساساً بوقع اليتيم والأكثر شعوراً بغيات السلالة التي يرى أنها لم تعرف الميلاد بعد. فهي بلا ملامح إن وجدت، ومن هنا كان وعيه الشعري حيال الأبوية أقرب إلى حالة العدم منه إلى حالة الوجود، إن نصوصه أوضح تمثيلاً لبلاغة 'جيل اليتيم' التي تجد أنموذجها في أدونيس ومحمد بنيس وكل من كانت رؤيته الشعرية تصدر عن هذا الاتجاه"¹، كما يبرز تيمة اليتيم عند كل من سعيد هادف وعمار مرياش ومصطفى دحية، وميلود خيزار، ونجيب أنزار، وعبد الله الهامل ونصيرة محمدي باعتبارهم لهم رغبة في كتابة نص بلاغته مختلفة، عن التجارب الشعرية الجزائرية السابقة²، وتناول بعض الرموز منها (قتل الأب، والأرض) التابعة لتيمة اليتيم، وهي تواردت في نصوص الشعر المختلف حيث استهلها لينساق إلي اللغة النقدية المقاربة للغة الإنشائية ومثال ذلك قوله: "ومن هنا ينطلق شعر اليتيم في ما بعد الحداثة العرجاء في خريطة الشعر العربي الراهن لينخرط في "وهم البحث" عن فرادته وتشبيد لغته على جسد الشعر العربي الذي أنهكه التعب، وكذب الواقع أغلب نبوءاته، فلم يعد يرى بعيون زرقاء اليمامة حتى يستشرف المستقبل، ثم أفسح المكان لجنس الرواية لتأخذ تاج ديوان القرن العشرين. كل هذا أكد لشعر اليتيم ضرورة فضح "أكذوبة الآباء" بالتمرد عليهم أو الدعوة الصريحة إلى قتلهم، ومما لا شك فيه إذا استحضرننا هنا فلسفة سيجموند فرويد سينشأ طوطم شعري بعد يقظة الضمير والإحساس بعقدة الذنب، وإذا جاز لنا أن نشطح شطحا بسطامياً في لحظة قبض أليمة قلنا أن شعر اليتيم هو طوطم لما بعد الحداثة العرجاء والمشوهة، لأنها مجرد محاكاة لخطاب

¹ - أحمد يوسف، يتم النص والجنينولوجيا الضائعة (تأملات في الشعر الجزائري المختلف)، ص 129.

² - ينظر: المرجع نفسه، ص 139.

ليس له ما يبرره في الواقع، وهذا الطوطم يتمنع على كل إرادة في تحديد جنسه أو الإمساك ببلاغته التي تنتسب إلى اللامعنى¹.

كما تناول تيمة "الجسد" فأستثمر الصيغ الصرفية والنحوية لهذه التيمة وربطها بدلالات معينة يقول: "تضافر المستوى النحوي مع المستوى الدلالي على صعيد السياق العام لتكون دلالة الإلغاء أو النفور، أو الملكية المرغوب عنها هي القيمة المهنية في هذه النصوص التي سقناها هنا بوصفها شواهد على دلالة الإلغاء للجسد، واستقراؤنا للمستوى الدلالي لا نجده يخرج عما استخلصناه"²، وتناوله لتيمة الجسد وتعريفه لها، تبرز معرفته وثقافته الحديثة في ميادين عدة، رغب تعقيد مفهومها.

وتناول تيمة الوطن فقال: "أخذت تيمة الوطن في الثقافة العربية القديمة حيزاً كبيراً من الاهتمام، حيث الفت في شأنها كتب عديدة مثال: "الحنين إلي الأوطان" لكل من أبي حيان التوحيدي وموسى بن عيسى الكسراوي، "الشوق إلي الأوطان" لابي حاتم السجستاني. لقد للوطن حضور مكثف في الشعر الجزائري القديم والحديث"³، فتناوله لتيمة الوطن تبرز اهتمامه وتعلقه الكبير بوطنه وحنينه له، لأنه كان مسلوباً منه من طرف الاستعمار الفرنسي. فعند دراسته لعدة تيمات التي تجتمع لتشكل تيمة "اليتيم" استثمر آلية التأويل بوصفه الآلية المركزية الأولى المستخدمة في فحص النصوص ومعاينتها، والكشف عن شفراتها الجمالية المؤسسة لأنموذج الخطاب من أجل استيعاب أعلى لمجمل حركات الخطاب الأدبي في فضاء القراءة"⁴. وبحث كذلك عن الصورة الشعرية التي تعد "أحد العناصر المركزية في بناء الخطاب الشعري التي استأثرت على نحو كبير في الدرس النقدي الخاص بنقد

¹ - أحمد يوسف، يتم النص والجنولوجيا الضائعة (تأملات في الشعر الجزائري المختلف)، ص 167.

² - المرجع نفسه، ص 209.

³ - المرجع نفسه، ص 101.

⁴ - خليل شكري هياس، الجسد لا شعوريا مقال ضمن كتاب (سيميائ الخطاب الشعري من التشكيل إلى التأويل) قراءات في

قصائد من بلاد النرجس، دار المجدلوي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط 1، 2010، ص 80.

الشعر¹، رغم أن هذه الآلية تتقاسمها (الموضوعاتية، والدراسات المقارنة)²، إلا أن الناقد قد وظفها في إبراز تيمة 'اليتيم' ودلالاتها المفتوحة.

ومع استثمار الناقد لأهم الآليات، ورصد مختلف التيمات وتنوعها في النص الشعر الجزائري المختلف، فإن محلل الخطاب الشعري إذا كان ملزما بالاستفادة من الدراسات الكثيرة التي أنجزها المختصون فإن عليه أن يصهر ما تعلمه³.

وقدم لنا الناقد الآليات التي تعد أهم المفاهيم النقدية للبنوية التكوينية والتي تحجج فيها الناقد بحدثة هذا اللون الشعري. محاولاً الخروج عن مجمل الدراسات النقدية التي تناولت الشعر الجزائري المعاصر، ومحاورة سياقاته التاريخية والاجتماعية والسياسية حيث يقول مبرزا ذلك: "لاحظنا بأن الدراسات التي تناولت هذه النصوص غلب عليها تصنيف الموضوعات والتعليق عليها بشروح متواضعة تحليلا ولغة، لا يكاد التاريخ للشعر الجزائري الحديث يبرح هذه الطريقة في تناوله ودراسته، ومن هنا كنا على وعي كبير بخطورة الأسئلة التي ستمخض عن دراسة الشعر الجزائري المختلف، والسبل المنهجية التي يتناول بها. واحتياط لكل سؤال لم نخرط في الوثوقيات النقدية، كما أننا لم نستطيع الإفلات من قبضة الأحكام وان كنا نسارع إلى التقليل من أهميتها لدينا وتحتمي بلغة نقدية يغلب عليها المنطق النسبي أكثر مما يغلب عليه الحكم المطلق"⁴، إذا حاول أن يستكشف بلاغة شعر اليتيم الشعرية وانزياحاته وبنيته الفنية واللغوية، وربطها بملازمات الواقع المعاش ليقدموا نصا شعريا مختلفا عن الشعر الجزائري من جهة وعن الشعر العربي المعاصر، ولهذا التصقت به صفة اليتيم والفاقد للأبوة وللجينالوجيا والسلالة التي يعرف بها، ولذلك يظهر تركيز الناقد على البنية النصية في الجزء الخاص بهذا اللون

¹ - يوسف وغليسي، النقد الجزائري المعاصر من "اللانسونية" إلى "الألسنية"، إصدارات رابطة إبداع الثقافية الجزائر، 2002، ص 192.

² - المرجع نفسه، ص 174.

³ - ينظر: محمد مفتاح، مفاهيم موسعة للنظرية الشعرية (اللغة-الموسيقى -الحركة) نظريات و أنساق، ص 297.

⁴ - أحمد يوسف، يتم النص والجينالوجيا الضائعة (تأملات في الشعر الجزائري المختلف)، ص 267.

الأدبي، وبقية الألوان حيث مال فيها إلى القراءة السياقية وسرد بعض العوامل الخارجية المؤثرة في تلك الألوان (حسب تقسيمه للشعر الجزائري الحديث)، وهذا ما دفع الناقد إلى الاستفادة من منهج أرحب من المنهج البنيوي وهو المنهج السيميائي حيث أن رصد هذه التيمات وتجلياتها ورموزها في الشعر الجزائري المختلف لم يكتمل إلا من خلال اعتماد الناقد السيميائي وما وفرته من آليات وإجراءات في سبيل استتارة وتأويل النص، وهذا ما سنتناوله في الفصل الثاني.

الفصل الثاني:

المنهج السيميائي تنظيرا وتطبيقا

المبحث الأول: المنهج السيميائي تنظيراً

إذ تأملنا هذا الكون بمختلف ظواهره، وجدناه نظاماً من العلامات فسلوكنا وملابسنا الحياة الاجتماعية والفكرية وملابسنا العلاقات وملابسنا الإنتاج والتبادل لا تخلو من استخدام العلامة فكل الوجود مبني على أساسها وما فيها من دلالة ونحن نستخدم العلامات اللغوية والتي يبدأ اكتسابها مع نشوء الحياة الواعية ثم علامات الكتابة وعلامات التحية، والتعرف على الآخر، ثم العلامات التي تنظم المرور والعلامات الخارجية التي تشير إلى الظروف الاجتماعية وعلامات العبادة والشعائر وعلامات الفن ... فالعلامة تلعب دوراً أساسياً هو التمثيل في مسرح الحياة الاجتماعية، فهي تحل محل شيء آخر وتستدعيه باعتبارها بديل عنه¹.

إن دراسة النظام الإشاري هي دراسة قديمة جداً إن لم أقل قديمة قدم الكون نفسه إلا أن المنطلقات النظرية لهذه الدراسة اختلفت من زمن إلى آخر ومن أمة إلى أمة أخرى وذلك لاختلاف الثقافات والمراحل التاريخية، وقد وصلت إلينا بعض التأملات والأفكار السيميولوجية من حضارات قديمة كالحضارة الصينية والهندية واليونانية والرومانية والعربية إلا أن هذه الأفكار والتأملات بقيت في إطار التجربة الذاتية ولم تدخل في إطار التجربة العلمية الموضوعية.

فلم يكن علم السيمياء وليد العصر الحديث بل هو علم قديم النشأة، فقد اهتدى القدماء من عرب وعجم بهذا الجانب من علم اللسانيات من أكثر من ألفي سنة، فأفرد الفيلسوف أفلاطون هذا الموضوع في كتابه "cartyle" وأكد أن للأشياء جوهرًا ثابتًا وأن الكلمة أداة للتواصل وبذلك يكون بين الكلمة ومعناها، أي بين الدال (signifiant) والمدلول (signifie) تلاؤم طبيعي (justesse naturelle) فهذا كان اللفظ يعبر عن حقيقة الشيء وقد أشار أفلاطون إلى ما تمتاز به الأصوات اللغوية من خواص تعبيرية، أي العلاقة بين الدال

¹- سيزا قاسم، نصر حامد أبو زيد، مدخل إلى السيميوطيقا (مقال) سيميولوجيا اللغة، لإميل بنفينيست، تر: سيزا قاسم، ط 1، الدار البيضاء 1986، ج 1، ص ص 12، 16.

والمدلول و لذلك كانت الأصوات أدوات تعبير عن ظواهر عديدة تشترك فيها لغات البشر باعتبارها ظاهرة إنسانية.

ونظرا لما تحتله العلامة بنوعيتها من أهمية كبرى فقد حق لها أن تخصص بعلم يدرسها من مختلف جوانبها، إنه علم السيميائيات.

المطلب الأول: مفهوم ونشأة السيميائية

أولاً: 1- مفهوم السيميائية عند الغرب:

قبل الغوص في الحديث عن النظرية السيميائية في البيئة النقدية العربية لابد أن نخرج عليها في عالمها الغربي من حيث نشأتها ومفهومها بالنسبة لقطبين من أقطابها الغربيين وهما: فرديناند دي سوسير وشارل ساندرس بيرس، حيث احتلت السيميائية في المشهد النقدي الغربي مكانة مميزة، بوصفها ذلك النشاط المعرفي الذي له أصوله وامتداداته، وتستمد هذه النظرية أصولها ومبادئها من مجموعة من الحقول المعرفية كاللسانيات، والمنطق، والتحليل النفسي والأنثروبولوجي، وبهذا كان لهذه الحقول دور كبير في التأسيس لمفاهيمها وطرقها التحليلية¹.

ومن أبرز رواد هذه النظرية في الغرب نجد العالم اللغوي السويسري فرديناند دي سوسير، الذي كان له الفضل في التبشير بهذا العلم الجديد وأطلق عليه اسم (سيميولوجيا)، وهذا ما يتجلى في تصريحه في كتابه (محاضرات في الألسنية العامة)، حيث يقول: «... ان اللغة مؤسسة اجتماعية، ولكنها تتميز عما سواها من المؤسسات السياسية والقانونية وغيرها بعدة سمات، ولكي نفهم طبيعتها الخاصة ينبغي أن ندرج في هذا السياق ظواهر من صعيد آخر»²

نستنتج من هذا القول إن دي سوسير منذ الوهلة الأولى يقوم بوصف اللغة وتحديدتها، حيث يعتبرها مؤسسة اجتماعية، فاللغة أداة تعبير وتواصل، وهي غير المؤسسات الأخرى؛ فاللغة تنقل أفكار الإنسان ولا يمكن أن نستغني عنها على عكس مؤسسات أخرى (السياسية، والقانونية)، فهي تستخدم اللغة ويمكن الاستغناء عنها، فلا يمكن أن يكون هناك مجتمع بدون لغة، فاللغة بمثابة الكائن الحي تحيا كما يحيا الإنسان وتموت كما يموت، وهي الوعاء

1- سعيد بن كراد، السيميائيات (مفاهيمها وتطبيقاته)، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، ط3، 2012، ص25.

2- فرديناند دي سوسير، محاضرات في الألسنية العامة، تعريب: صالح القرمادي وآخرون، الدار العربية للكتاب، دط، 1985، ص37.

الذي يحتوي على ثقافة وحضارة المجتمعات ويختزل عقلياتهم، وإذا لم يتم تداولها بين الأفراد أصيبت بالأكسدة والتحجر وعليها أن تواكب العصر مع محافظتها على مقوماتها. ويواصل دي سوسير قوله: «إن اللغة نظام من الدلائل يعبر عما للإنسان من أفكار، وهي في هذا شبيهة بالكتابة وبألفبائية الصم والبكم، وبالطقوس الرمزية، وصور آداب السلوك، وبالإشارات الحربية وغيرها، إلا أن اللغة أهم هذه الأنظمة جميعاً»¹. يتبين لنا من هذا القول أن دي سوسير يتم وصفه للغة ويحددها، من خلال مكوناتها (العلامات)، وكما نعلم أن هناك علامات لغوية يتميز بها الإنسان وأخرى غير لغوية حصرها فيما يلي: ألفبائية الصم والبكم، والطقوس الرمزية، وصور آداب السلوك والإشارات الحربية. ومن ثم نجد دي سوسير يقر في نهاية قوله السابق أن اللغة أو العلامات اللغوية هي أهم من العلامات غير اللغوية، لأنها أرقى وأسمى وأشرف حقل تفسر غيرها من الحقول الأخرى، وأيضاً الإشارات محدودة، في حين اللغة نطاقها واسع ولها قدرة على التوليد، حيث نستطيع أن ننتج بفضل عدد محدود من الحروف عدداً غير محدود ولا متناهي من الكلمات والأفكار، وأيضاً إن لغة الصم والبكم، لغة الموائى هي لغة خاصة بفتة محدودة على عكس اللغة المعروفة عند كافة الناس، والإشارات قد تحمل معنا واحداً تعبر به عن صورة واحدة من الفكرة بينما تعبر اللغة عن فكرة واحدة بصور ومعاني مختلفة.

يقول دي سوسير متنبئاً بظهور هذا العلم: «وإذا فإنه من الممكن أن نتصور علماً يدرس حياة الدلائل في صلب الحياة الاجتماعية، وقد يكون قسماً من علم النفس الاجتماعي وبالتالي قسماً من علم النفس العام، ونقترح تسميته (Sémiologie) سيميولوجيا؛ أي علم الدلائل وهي كلمة مشتقة من اليونانية (Sémion) بمعنى دليل، ولعله سيمكننا من أن نعرف مما تتكون الدلائل والقوانين التي تسيرها، ولما كان هذا العلم غير موجود بعد فإنه لا يمكن أن نتنبأ بما سيكون، ولكن يحق له أن يوجد ومكانه محدد سلفاً، وليست الألسنية سوى قسم

1- المرجع السابق، ص 37.

من هذا العلم العام والقوانين التي سيكشف عنها علم الدلائل سيكون تطبيقها على الألسنية ممكنا، وستجد الألسنية نفسها ملحقة بميدان محدد المعالم مضبوط ضمن مجموعة الظواهر البشرية»¹.

يتضح لنا من القول إن دي سوسير يقر بوجود علم يسمى علم الدلائل أو السيميولوجيا ويعرفه بأنه علم يهتم بدراسة حياة الدلائل في صلب الحياة الاجتماعية، ثم يصرح بأن هذا العلم هو فرع من علم أعم هو علم النفس الاجتماعي الذي هو فرع من علم النفس العام، وأيضا نجد دي سوسير يقر بأن الاسم الحقيقي لهذا العلم هو علم الدلائل أو السيميولوجيا، وإقراره هذا يثبت لنا حقيقة أن اللغة لا تفهم خارج المجتمع ويجب أن ندرس حياتها؛ أي دراسة استخدام العلامات من طرف المجتمع، وتتبع تطور دلالات هذه العلامات، وهذا ما يفسر قوله: « علم يدرس الدلائل في صلب الحياة الاجتماعية»².

وعليه يعد فرديناند دي سوسير أول من استشرف هذا العلم الذي موضوعه اللغة، وهذا ما نجده في عبارته نتصور، وهناك العديد من العبارات في النص تدل على أن هذا العلم تصور مستقبلي عنده، كما يقر بجذور هذا العلم إلى اليونان، وذلك بقوله: « وهي كلمة مشتقة من اليونانية (Semion)» كما له قوانينه ومعاييره الخاصة ويعترف بوجود مكان محدد له سلفا ضمن الحقول المعرفية، فالسيميولوجيا علم موجود بالقوى وليس بالفعل، وهو مرتبط بعلم الإقناع خاصة علم الطب، ولكنها كانت بعيدة كل البعد عن علم الاجتماع وبعد تطورها أصبحت مرتبطة بالعلوم الأخرى كالفن، والموسيقى، والنحت، والموضة، والأزياء، والطعام....

كما أقر سوسير بشروط هذا العلم وقوانينه المعلومة، وقد كان لثنائياته فضلا كبيرا في ظهور هذا العلم، حيث تعتبر من منطلقاته الأساسية، خاصة ثنائية الدال والمدلول، وقد اعترف هذا العالم اللغوي بأن تلك القوانين التي يقوم عليها هذا العلم هي قوانين

1- المرجع السابق، ص 37 .

2- المرجع نفسه، ص 37.

ألسنية، وبذلك فموضوعه هو (اللسان)؛ أي دراسة العلامات اللغوية، كما يرى أن الألسنية فرع من علم السيميولوجيا، وكأنه يقر بأن للسيميولوجيا فروعاً ومصادر ومنابع أخرى، وعليه تصبح الألسنية تمثّل بعداً معرفياً يسمح لنا بممارسة النشاط السيميولوجي، فموضوعه القوانين التي تشغل بها التركيبة اللغوية، وبناء على ما سبق ذكره تتأكد لنا مشروعية هذا العلم عند دي سوسير على الرغم من عدم وجوده آنذاك.

وفي هذا الصدد نجد الدكتور أحمد عزوز يصرح: « وهكذا نستشف أن دي سوسير كان مدرسة قائمة بذاتها، فقد ملأ الدنيا، وفتن الناس وشغلهم بأرائه وأفكاره التي لم تعش في باريس وجنيف فحسب، وإنما سافرت إلى أصقاع الدنيا وأصبحت منهل الدارسين والباحثين، فتجلت في أكثر من مدرسة لسانية، ولدى أكثر من متخصص، بل أصبح اليوم من اللامنهج واللامعقول الكتابة في كثير من العلوم الإنسانية دون ذكر مصطلحاته، هي تلك العبقرية الحقّة»¹.

من خلال هذا القول يتبين لنا أن النظريات النقدية الأدبية معظمها ساهمت في ظهور المبادئ التي أرساها دي سوسير، فهي بمثابة المحرك للدارسين والباحثين في الحقل النقدي بعده، وهذا ما أدى إلى ظهور منهج يطلق عليه (السيميولوجيا)، ووصفه بالمدرسة دليل على استيعابه لما فاتته، وما عاصره ولما نهله من مشارب مختلفة أمثال: بوداون كورتينا، ودانتي وشارل ساندرس بيرس، وإيميل دوركهايم.

إذن فحتمية وجود هذا العلم عند سوسير لا نقاش فيها على الرغم من أن الألسنيين يرون عكس ذلك، وكأنه يدخل في صراع جديد معهم بعد دخوله في صراع مع النحويين، من خلال دراستهم للغة من زاوية معينة، فنحن نملك كما هائلا من الدراسات التاريخية، ولكننا بحاجة إلى دراسة جديدة؛ أي تدرس اللغة في أنها وفي لحظتها ولذاتها، وفي قدراتها الخلاقة.

1- أحمد عزوز، المدارس اللسانية (أعلامها، ومبادئها ومناهج تحليلها للأداء التواصلية)، دار الأديب للنشر والتوزيع، الجزائر، دط، دت، ص106.

وعليه يتجلى لنا بوضوح البعد السيميولوجي عند دي سوسير، حيث نجده يعتبر ينطلق من ثنائياته الألسنية، ويتعامل مع النص كدليل أدبي، وبالتالي ينطبق عليه نفس ما ينطبق على الدليل الأدبي، فالسيميولوجيا عنده ذات بعد ألسني محض، ولذلك لما ندرس نصا أدبيا سواء كان شعرا أم نثرا، فإننا نبحت عن الأبعاد الجمالية الكامنة فيه، فهو وحدة سيميولوجية كبرى يتضمن وحدات سيميولوجية صغرى بدءا بالحرف مرورا للكلمة، وصولا للجملة، ولذلك نستطيع من خلال هذه الثلاثية أن نشرح نصا، ونعرف بعده السيميولوجي. وفي الفترة التاريخية التي كان فيها العالم اللغوي السويسري فرديناند دي سوسير يصوغ تصوره الجديد للسانيات، حيث كان يسعى لتأسيس علم جديد يطلق عليه السيميولوجيا (Sémiologie)، ظهر في أمريكا الفيلسوف شارل ساندرس بيرس، الذي أخذ ينحت من جهته في سبيل إنجاز تصور خاص به، فانطلق من أسس إيسيمولوجية مغايرة وخرج بتصوير آخر لهذا العلم أطلق عليه تسمية سيميوطيقا (Semiotics)، والسيميوطيقا عنده لا تتفصل من جهة عن المنطق باعتباره القواعد الأساسية للتفكير والحصول على الدلالات المتنوعة، ولا تتفصل من جهة ثانية عن الفينومينولوجيا باعتباره منطلقا صلبا لتحديد الإدراك وسيروراته ولحظاته¹.

وقد اقتصر بيرس على دراسة الجانب التطبيقي على عكس دي سوسير الذي ركز على الجانب النظري، وتوقف عند حدود الجملة، ودرس العلامات اللغوية فقط، فبيرس يدرس العلامة اللغوية وغير اللغوية ولقد ارتبطت نظريته بالفكر المسيحي، أما دي سوسير فنظريته مبنية على الثنائيات.

وبذلك يمكن القول إن السيميوطيقا عند بيرس قد ارتبطت بالمنطق على نطاق واسع، وهو يؤكد الرأي بتعريفه لها بقوله: «...ليس المنطق بمفهومه العام إلا اسما آخر للسيميوطيقا، والسيميوطيقا نظرية شبه ضرورية أو نظرية شكلية للعلامة»²، ومعنى ذلك أن المنطق

1- سعيد بن كراد، السيميائيات (مفاهيمها وتطبيقاتها)، ص 87.

2- فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، الدار العربية للعلوم، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2010، ص 17.

يتجلى في العلامة من خلال العلاقة بين الدال والمدلول، وهذا ما ظهر في قوله (نظرية ضرورية)؛ أي هناك شيء يأمر بفعل شيء، إذن السيميوطيقا في نظر بيرس يمكن تسميتها منطلق العلامة أو المنطق الذي يدرس العلامة.

وفي هذا الصدد يقول سعيد بن كراد: «بل هناك من ذهب إلى أبعد من ذلك ورأى أن فلسفة كانط تبشيرا بسيميائيات قائمة الذات، فالتمييز الذي يقيمه كانط بين الأحكام التحليلية والأحكام الترتيبية يتضمن نظرة سيميائية، كما أن كتابه (الأنثروبولوجيا) يحتوي على نقاش خاص بنظرية العلامات، أما كتابه (المنطق) فيمكن قراءته اعتمادا على مفاهيم من طبيعة سيميائية¹» وهنا يقر سعيد بن كراد بأهمية هذه الأصول، و نقصد (فلسفة كانط) المتمثلة في كتابيه (الأنثروبولوجيا والمنطق) كما يشير إلى دورها في تحديد الهوية المعرفية للسيميائيات.

إذا المصطلحان (سيميولوجيا/سيميوطيقا) مترادفان في المعجم الموسوعي لعلوم اللسان فكلمة سيميوطيقا Sémiotique التي جاء بها الفيلسوف الأمريكي شارل ساندرس بيرس، والتي تعود مرجعيتها إلى المنطق هي مرادفة لكلمة سيميولوجيا Sémiologie التي جاء بها العالم السويسري سوسير والتي تعود مرجعيتها إلى اللسانيات، فهما وجهان لمفهوم واحد، وموضوعهما هو دراسة الأنظمة العلامية المختلفة، اللغوية منها وغير اللغوية. إذن نظرة دي سوسير مبنية على تصور ثنائي، أما بيرس فتصوره ذو بعد ثلاثي، فالعلامة عنده تتكون من: ماثول (دال)، وتعبير (مدلول)، وموضوع (مرجع خارجي).

وبذلك نستخلص مما سبق ذكره أن بعض الدارسين الغربيين وقعوا في إشكالية اختيار المصطلح المناسب لهم، فمنهم من آثر (السيميولوجيا) ذات الطرح المعرفي الأوروبي، ومنهم من فضل السيميوطيقا ذات الطرح المعرفي الأمريكي، إلا أن هذا الإشكال تم الفصل فيه، حيث تقرر الاحتفاظ بالمصطلحين نظرا لجذورهما المعرفية الراقية.

1- سعيد بن كراد، السيميائيات (مفاهيمها وتطبيقاتها)، ص 28.

2- مفهوم السيميائية عند النقاد العرب الحداثيين:

لقد ارتبط مفهوم السيميائية عند النقاد العرب الحداثيين بالمفهوم الغربي الذي يفيد بأنها: « علم أو دراسة العلامات دراسة منظمة منتظمة»¹ سواء تعلق الأمر بالأوروبيين الذين فضلوا Semiotique إلى Semiology إنتما بدي سوسير، أو الأمريكيين الذين انحازوا إلى Semiotics المتأثرين بشارل ساندرس بيرس، وعليه فإن العرب الحداثيون خاصة أهل المغرب العربي، قد فضلوا ترجمتها ب: السيمياء.

وفي هذا الصدد يقول ميجان الرويلي وسعد البازعي: «أما العرب، خاصة أهل المغرب العربي، فقد دعوا إلى ترجمتها بـ «السيمياء» محاولة منهم في تعريب المصطلح، والسيمياء مفردة حقيقة بالاعتبار لأنها كمفردة عربية، كما يقول الدكتور معجب الزهراني: ترتبط بحقل دلالي لغوي ثقافي معها فيه كلمات مثل: السمة، و التسمية، والوسام، والوسم، والميسم، والسيمياء (بالقصر والمد والعلامة)»².

يتبين لنا من خلال هذا القول أم كلا من ميجان الرويلي وسعد البازعي يقران باكتفاء العرب بترجمة مصطلح السيمياء، منحازين إلى تعريب المصطلح كما ذهب إليه معجب الزهراني، أين يظهر جليا بأن مفهوم السيميائية عنده ارتبط بالعلامة؛ أي دراسة العلامات وهذا لا يخرج عما جاء به الغربيون في مجال السيمياء.

بالإضافة إلى مفهوم الزهراني للسيميائية نذكر مفهوم عبد الملك مرتاض لها باعتباره قطبا من أقطاب السيميائية في الوطن العربي، والذي سجل لنفسه حضورا مميذا في الساحة النقدية الجزائرية، حيث نجده يقول: « إن مفهوم السيميائية آت، كما هو معلوم من تركيب (س و م) الذي يعني، فيما يعني (العلامة) التي يعلم بها شئ ما كالثوب، وإنسان ما كالوشم، أو

1- ميجان الرويلي وسعد البازعي، دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء /بيروت، ط5، 2007، ص177.

2- معجب الزهراني، في المقاربة السيميائية، علامات في النقد الأدبي، مج1، ع2، ديسمبر 1991، ص143-163، نقلا عن: ميجان الرويلي وسعد البازعي، دليل الناقد الأدبي، ص 177.

حيوان ما كميّاسم القبائل العربية التي كانت تسم بها إبلها، ومن هذه المادة جاء لفظ "السيما" بالقصرو « السّيمياء » بالمد و «السّيمياء»¹.

ويّضح لنا من القول أن مرتاض قد اصطنع لنفسه مصطلحا خاصا به بقوله السّيميائيّة، حيث يرى بأن هذا المفهوم مرتبط بالعلامة، ويفسرها بضرب أمثلة من الواقع: الثوب علامة، الوشم علامة...تميّز صاحبها عن غيره -هذا في نظره- كما يعتمد على الجانب النّحوي ليثبت مصداقيّة مصطلحه، ونقصد بذلك رجوعه إلى المعاجم العربيّة كلسان العرب...

وكما ألفينا سابقا فإنّ sémiologie (سيميولوجيا)، و semiotics (سيميوطيقا) بمفهومها الغربي كان لها صدى وحضور في النقد العربي الحديث على نطاق واسع، وهذا ما تبين لنا في مفهومي النّاقد معجب الزهراني وعبد المالك مرتاض، فكلاهما يرجع مفهوم السيميائية إلى العلامة، واتفاقهما على موضوع دراستها أي أنظمة العلامات، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على مدى تأثير النّقاد العرب الحداثيين بالدارسين الغربيين أمثال: دي سوسير، وشارل ساندرس بيرس، وغريماس وغيرهم، وفي هذه القضية يقول عبد الملك مرتاض: «... والحق أن مصطلح السّيمائية التي كثيرا ما يقابله دون تدقيق المصطلحان الغربيان « Semiology، Sémiologie » و « Smiotique، Sémiotics » وهما آتيان من الأصل الإغريقي المركب «Sémiotike» هو من بلورة شارل بيرس»².

ولكن قولنا بتأثر النّقاد العرب الحداثيين بالغرب في مجال السيميائية لا يعني بأنهم لم يضعوا بصمة تحسب لهم، ومن ذلك جهود عبد الملك مرتاض وآخرين، فإذا تحدثنا عن جهود هذا النّاقد فأول ما يصادفنا خروجه عن المصطلح الغربي الذي كان وجهته الأولى في دراساته بتدارك الأمر وتعمّقه في البحث في الموروث العربي عن أصول المصطلح، واستقرّ أخيرا على مصطلح السيميائية متجاوزا بذلك ما أتى به النّقاد العرب الذين عايشوه، حيث يقول:

1- عبد الملك مرتاض، نظرية النص الأدبي، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 2010، ص157.

2- المرجع نفسه، ص158.

«وقد لا حظنا فيما نسمع من الجامعيين، أساتذة وطلابا أنهم ينطقون (السيميائية): (السيميائية) اختصارا فيلحنون بالجمع بين ساكنين، وذلك لطول اللفظ الذي يجعل الحنجره تكابد في تقطيعه حتى يتقطع نفسها فيقع المحذور ! من أجل ذلك نستعمل نحن صيغة (السيميائية) الآتية من: (السيماء) وهي مرادف للفظ السيمياء»¹.

ويوضح القول المذكور أعلاه أن مرتاض رفض مصطلح السيميائية الذي كان شائعا في الوسط الجامعي بين الأساتذة والطلاب، وبسبب ذلك أن هذين المصطلحين ثقيلين على اللسان، وفي نظره استعمالهما يؤدي إلى المحذور، كما يصرح في بقية القول بتفضيله السيميائية التي أصلها آت من السيماء وهي مرادفة على حسب قوله للسيمياء، فهو يعيب على السيميائيين العرب الحدائين اختيارهم أطول الألفاظ، ويقصد هنا السيميائية أو السيميائيات....

ومن خلال ما سبق ذكره، نستنتج أن النقاد العرب الحدائين قد استفادوا وبشكل كبير من آراء وجهود النقاد الغربيين أمثال: دي سوسير، وبيرس... كما خرجوا عنهم خاصة في استعمال مصطلحات معينة، مثل: عبد الملك مرتاض الذي تبني منها تركيبيا، وذلك بالمزاوجة بين مجموعة من المناهج الحدائية.

ثانيا: لمحة عن نشأة السيميائيات:

إن المتأمل في تاريخ السيميائيات يجزم أنها ليست حديثة النشأة، بل أن لها مسارا تاريخيا قديما قدم تاريخ البشرية، رغم أنها لم تظهر كعلم أو كمنهج علمي له أسسه وقواعده ورواده إلا مؤخرا، فرصد هذا المسار بكيفية دقيقة من الأمر الصعب وهذا لتداخلها مع كثير من العلوم والمعارف (الفلسفة، علم النفس، علم الاجتماع، اللسانيات، علم الفلك...).

ومصطلح سيميوطيقا (semiotique)، نجده عند أفلاطون إلى جانب نحو (grammatike)²، كما أن الرواقيين هم أول من قال بأن العلامة دالا ومدلولا، ثم يأتي بعد ذلك القديس

1- المرجع السابق، ص158.

2- محمد نظيف، ما هي السيميولوجيا، دار إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب ط1-1994، ص37.

أوغسطين الذي أرسى القواعد الأولى لنظرية التأويل، وهكذا بقي التأمل في العلامات أهم ما يميز بحوث ودراسات القرون الوسطى، إلى غاية القرن السابع عشر حيث ظهر هذا المصطلح (semiotic) مع جون لوك وفي القرن الثامن عشر ألف الفيلسوف سورل دراسة كبيرة بعنوان (semiotic)¹، أما عند العرب فإن علم السيميائيات لم يكن علماً موجوداً بصفة واضحة إلا أنه كانت هناك إشارات لهذا المصطلح سيمياء وسيماء وسيميا لدى كل من ابن خلدون وابن سينا ومحمد شاه بن المولى الغناوي، ومما يلاحظ على هذه الإشارات أنها تكاد تصب في قالب واحد هو علم الروحانيات، وأسراره وأحياناً مرتبطة بعلم التأويل والدلالة 2 . وبعد أن أرسى بيرس قواعد السيميائيات كعلم إلى جانب العالم اللغوي دي سوسير، تواصلت أبحاث تلاميذ كل منهما، وانتقلت أعمال بيرس إلى أوروبا مع الأستاذ جيرار دولودال مما فتح المجال واسعاً أمام مولينو ليؤسس سيميولوجيا الأشكال الرمزية، بعد ذلك عرفت الحركة السيميائية تطوراً كبيراً خاصة بعد أن نشر رولان بارت كتابه "الأساطير" 1957 و"عناصر السيميولوجيا" 1963 ثم انعقاد الندوة العالمية حول السيميائيات بباريس التي تأسست على إثرها "الجمعية العالمية للسيميوطيقا" التي آثرت استعمال مصطلح sémitique على حساب sémiologie مع الاحتفاظ بهذا الأخير لخصوصيته لدى الفرنسيين ثم تشعبت مجالات واتجاهات السيميائيات فظهرت مدارس مختلفة كالمدرسة الفرنسية والإيطالية... وغيرها مما سيأتي ذكره فقد حضي فكر العلامة في تراث البشرية قاطبة بمكانة خاصة وبأهمية كبيرة على درجات متفاوتة بين الأجيال، والعصور، وتعاقب المعارف والحضارات لارتباطه بأبرز مظهر من مظاهر المجتمع الإنساني، وهو مظهر الاتصال والتفاهم الذي لا قيمة لحياة البشرية من دونه، فارتبط مفهوم العلامة بمباحث اللغة ودروس المنطق سواء عند المسلمين الذين انطلقوا في دراستهم من اهتماماتهم بالنص الشرعي إذ منذ نزول القرآن الكريم كأن المتأمل في العلامة واعتبار دلالتها بالنظر

1- ميشال آرفيه، السيميائية أصولها وقواعدها، تر: رشيد بن مالك، منشورات الاختلاف، ص 22-23.

2- المرجع نفسه، ص 23 وما بعدها.

والتدبر، والتفكر ويتضح ذلك من خلال التوجيهات الربانية القرآنية كقوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴾¹ وقوله أيضا: ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾² وفي رحاب هذا التوجه القرآني كان التعامل مع العلامة عندهم من أجل تفسير دلالتها الكونية والروحية والاستدلال بحاضرها عن غائبيها³.

1- سورة الحجر، الآية 75 .

2- سورة الرعد، الآية 04.

3- أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، و م ج الجزائر، 1994، ص 139.

المطلب الثاني: أعلام السيميائية

عرفت الحركة النقدية الحديثة رجة قوية بعد تسرب النظرية السيميائية محملة بمبادئ ومفاهيم غريبة، حيث تغلغت بسرعة في الممارسات التحليلية لنصوص شعرية وروائية، وعلى إثر ذلك انكب عدد من النقاد العرب الحداثيين على التلقي النظري والإجرائي التطبيقي لمعطيات هذه النظرية الجديدة، فأصبحت بذلك بمثابة موضة انبهر بها النقاد العرب خاصة في منتصف السبعينيات، ومن ثم أخذت تتأسس عوالم هذه النظرية من بوابة المغرب العربي لتمتد تدريجياً إلى المشرق العربي، ويرجع ذلك إلى جهود بعض الأعلام التي تميزت في هذا الحقل، وقد حاولنا قدر المستطاع الإلمام بكل النقاد العرب السيميائيين، ويمكن تصنيفهم إلى صنفين كالآتي:

1. نقاد المغرب العربي:

لقد أسهم نقاد الجزائر والمغرب وتونس في إرساء آليات الدرس السيميائي في المغرب العربي بصفة خاصة، وفي الوطن العربي بصفة عامة، ونذكر منهم: عبد الملك مرتاض، وعبد الحميد بورايو، ورشيد بن مالك، وعبد القادر فيدوح، والطاهر رواينية، ومحمد مفتاح، وعبد الفتاح كليطو، ومحمد الماكري، وسعيد بن كراد، وسعيد بوطاجين، وسعيد يقطين، وحنون مبارك، وعلي العشي، وسمير المرزوقي، وجميل شاكر، وعبد السلام المسدي، ومحمد عبد المطلب.

2. نقاد المشرق العربي:

لم تكن السيميائية حكراً على نقاد المغرب العربي فحسب، وإنما واصل المد السيميائي طريقه إلى المشرق العربي، وبرز في هذا المجال مجموعة من النقاد نذكر منهم: عبد الله الغدامي، وصلاح فضل، ومحمد عزام، وعادل الفاخوري، وسيزا قاسم، ومعجب الزهراني، وأنطوان أبو زيد، وفايز الداية، وعز الدين إسماعيل، ومحمد ناصر

العجمي، ومحمد عناني، ونصر حامد أبو زيد، وجميل حمداوي، ومحمد خير البقاعي،
ومحمود أمين العالم، ونبيل راغب¹.

1- يوسف وغلبيسي، مناهج النقد الأدبي، جسور للنشر والتوزيع، الجزائر، ط 1، 2010، ص 101-105.

المطلب الثالث: اتجاهات ومدارس السيميائية

إن السيميائيات تعتبر علما حديثا بالمقارنة مع غيره من العلوم، ولم تظهر ملامحه المنهجية إلا مع بداية القرن العشرين، وقد كانت ولادتها مزدوجة كما يقول مارسيلود أسكال ولادة أوروبية مع سوسير وولادة أمريكية مع شارلز بيرس¹. وقد أخذت السيميائيات بعد دي سوسير توجهها جديدا تمثل في بروز نمطين كبيرين سيميائيين هما سيميائيات التواصل، وسيميائيات الدلالة، وتفرع هذان الاتجاهان عن كتاب سوسير "محاضرات في الألسنية العامة" وكانا تمهيدا لما جاء بعدهما من مناهج وتوجهات مختلفة اختلفت باختلاف مفهومها للعلامة ودراستها لهما.

- سيميولوجيا التواصل: sémiologie de la communication

يمثل هذا الاتجاه كل من بريتو (preto)، ومونان (mounin)، وبويسنس (buysens) هذه السيميائيات تقتفي أثر سوسير من حيث أنها تؤكد الجانب القصدي والتواصلية للعلامة، وأن هذا التواصل هو انعكاس لطبيعة اللسان نفسه من حيث هو نظام تواصلية².

- سيميائيات الدلالة: sémiologie de la signification

يعتبر رولان بارت (R.barthes) خير من يمثل هذا الاتجاه فالبحت السيميائي لديه هو دراسة للأنظمة الدالة، أما عناصرها فقد حددها في كتابه "عناصر السيميولوجيا" وهي منتقاة على شكل ثنائيات من الألسنية البنيوية وهي: اللغة والكلام، الدال والمدلول، المركب والنظام، التقرير والإيحاء (الدلالة الذاتية، الدلالة السيميائية)³.

1- محمد إقبال عروي (مقال) السيميائيات و تحليلها لظاهرة الترادف في اللغة و التفسير ،مجلة عالم الفكر، الكويت، مج26، ع3، دت، ص190.

2- أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، و م ج الجزائر، 1994، ص49.

3- جميل حمداوي (مقال) السيميوطيقا و العنونة، مجلة عالم الفكر، المجلد 25، العدد3، مطابع السياسة - الكويت، مارس1997، ص87.

وقد انتقلت السيميائيات من تبعيتها للسانيات التي تحكمها في مختلف العلوم وإنتاجها للأدوات المعرفية تنظر من خلال مختلف الممارسات الرمزية للإنسان باعتبارها أنشطة رمزية وأنساق دالة، إلى مختلف العلوم و المعارف فتعددت اتجاهاتها، وبذلك وجدت لنفسها موقعا ابستمولوجيا هاما، فمنذ أكثر من نصف قرن شهدت الدراسات السيميائية انتشارا واسعا في كافة الاتجاهات و مختلف الميادين.

وهكذا نجد أنه أصبح للسيميائيات اتجاهات متعددة فمثلا محمد السرغيني يحددها بثلاث اتجاهات متعددة جاءت على النحو الآتي: الاتجاه الأمريكي، الاتجاه الفرنسي، الاتجاه الروسي بالإضافة اتجاه رابع تمثل في الاتجاه الإيطالي، أما مارسيلو داسكال فهي عنده : سيميائيات التواصل، سيميائيات الدلالة، سيميائيات التعبير عن الفكر¹.

1-الاتجاه الأمريكي:

ارتبط هذا الاتجاه بالفيلسوف المنطقي شارل ساندرس بيرس والسيميوطيقا عنده بحث موسع يهتم بالدلائل اللسانية وغير اللسانية وأكد بيرس أنه لا يمكن أن يدرس أي شيء مهما كان إلا بوصفه دراسة سيميوطيقية (سيميائية) وسيميوطيقا بيرس ذات وظيفة فلسفية منطوية لا يمكن فصلها عن فلسفته التي سماها الاستمرارية والواقعية والتداولية ويمكن اعتبار سيميوطيقا بيرس سيميائيات الدلالة والتواصل في آن واحد كما أنها اجتماعية وجدلية تعتمد على أبعاد ثلاثة وهي: البعد التركيبي، والبعد التداولي، والبعد الدلالي².

1- المرجع السابق، ص83.

2- المرجع نفسه، ص84.

2-الاتجاه الفرنسي:

- المدرسة السويسرية: فيرديناند سوسير مؤسس اللسانيات والسيميائيات فالسيميائيات عنده تدرس الأنساق القائمة على اعتبارية الدليل، ومن ثم لها الحق في دراسة الدلائل الطبيعية أي أن لها موضوعين رئيسيين: الدلائل الاعتبائية، والدلائل الطبيعية وعلاوة على ذلك فإنها لكي تحدد استقلالها ومجالها الابستيمولوجي، وتكون مفاهيمها وتصوراتها النظرية ومصطلحاتها الإجرائية، ما عليها إلا أن تستعير من اللسانيات مبادئها ومفاهيمها كاللسان والكلام والسنكروني والدياكروني¹.
- مدرسة باريس السيميوطيقية: تمثل هذه المدرسة كل من غريماس (greimas) وميشيل أريفي (m.Arrive) وكلود شابرول (c.Chabrol)، وجان كلود كوكي ويوضح أعمال هذه المدرسة الكتاب القيم الذي صدر تحت عنوان "السيميوطيقا" وقد سعت هذه المدرسة بمفهوم السيميائيات الذي لا يتجاوز أنظمة العلامات إلى مصطلح السيميوطيقا الذي يقصد به علم الأنظمة الدلالية. وقد اعتمدت هذه المدرسة على أعمال وأبحاث سوسير و هيلمسليف وحتى بيرس حيث كان اهتمام أصحاب هذه المدرسة قائماً على تحليل الخطابات والأجناس الأدبية من منظور سميوطيقي قصد استكشاف القوانين الثابتة المولدة لتمظهرات النصوص العديدة².
- اتجاه السيميوطيقا الرمزية: سيميائيات هذه المدرسة تسمى (نظرية الأشكال الرمزية) حيث استلهم كلا من مولينو وجان جاك ناتبي نظرية بيرس الأمريكي موسعة عن العلامة وأنماطها كالإشارة (القرينة) والأيقونة والرمز، وفلسفة كاسير الرمزية التي تنظر للإنسان بأنه حيوان رمزي كما تدرس الأنظمة الرمزية محل العلامات في الاتجاهات والمدارس الأخرى³.

1- التواتي بن التواتي، مفاهيم في علم اللسان، ط1، 2006، ص ص 82-83.

2- جميل حمداوي، (مقال) السيميوطيقا و العنونة، ص91.

3- المرجع نفسه، ص92.

- الاتجاه المادي: خير من يمثل هذا الاتجاه الباحثة جوليا كريستيفا التي تستند في بحثها التوفيق بين اللسانيات والتحليل الماركسي لإيجاد التجاور بين الداخل والخارج من المعطى التجريبي الداخلي، وقد وظفت كريستيفا مصطلحات ذات بعد ماركسي اشتراكي كالمنتج والممارسة الدالة والمنتوج على عكس المصطلحات الموظفة في الفكر الرأسمالي كالمبدع والإبداع الفني¹.

3-الاتجاه الروسي:

تعتبر الشكلائية الروسية التمهيد الفعلي لدراسات السيميائية في غرب أوروبا واسمها الحقيقي جماعة ololaz، وكانت أبحاثها تطبيقية ونظرية في آن واحد ومن نتائج هذه الأبحاث ظهور مدرسة تارتو ومن أعلامها البارزين: لوري لوتمان وتودروف وقد جمعت أعمال هؤلاء في كتاب جامع تحت اسم "أعمال حول أنظمة العلامات" واهتمت هذه المدرسة بسيميولوجيا الثقافة، وأهم ما تتميز به الشكلائية الروسية:

- التوفيق بين آراء بيرس و سوسير حول العلامة.
- استعمال مصطلح السيميوطيقا بدل السيميولوجيا.
- الاهتمام بالسيميوطيقا الابستمولوجية الثقافية².

4-الاتجاه الإيطالي:

يمثل هذه الاتجاه كل من أمبيرتو إيكو، وروسي لاندي اللذين اهتمتا كثيرا بالظواهر الثقافية باعتبارها موضوعات تواصلية، وأنساق دلالية على غرار سيميوطيقا الثقافة في روسيا³.

1- المرجع السابق، ص92.

2- المرجع نفسه، ص94.

3- المرجع نفسه، ص95.

المبحث الثاني: المنهج السيميائي على مستوى التطبيق

المطلب الأول: المنطلقات المنهجية للناقد

يحدد الناقد من خلال المقدمة طبيعة القراءة التي يعتمدها فيقول: "القراءة بوصفها سيرورة سيميائية وفعلاً تأملياً يقوم على أساس التواصل اللغوي تقتضي تواشجاً بين الإجراءات الداخلية والشروط الاجتماعية والتاريخية لإنتاج 'الدلالة'، وإن فالبحث عن المعنى يتطلب الإحاطة بالمواصفات التي أتينا على ذكر بعضها وينفي السلبية عن القارئ التي تلصقه بها في العادة القراءة النسقية ولاسيما المقاربات البنيوية المحايثة التي تصطم في حالات كثيرة مع مقارنة النص الشعري الذي يستدعي القارئ لبناء انسجامه"¹، اختار الناقد المنهج السيميائي الذي يراه مناسباً لمدارسة المعنى وتجلياته التي أهملتها المقاربات البنيوية المحايثة، وحدد نوعه وطبيعته فنجده يقول: "يختلف تعريف السيميائية ومنظورها ومناهجها من منظر إلى آخر لذلك من المهم أن يحدد القادمون الجدد إلى هذا الحقل صاحب السيميائية التي يتبعونه"²، و لذلك نجد الناقد قد اختار "السيميائيات التي تحتكم إلى الخلفيات الاجتماعية التي أقرها دوسوسير في دروسه حول اللسانيات العامة من أجل مدارسة السيميوزيس التي تمثل سيرورة العلامات وحركتها وتحولاتها ونشاطها على النحو الذي نلقه لدى رولان بارت و جوليا كرسنيفا، وأمبرتو ايكو وغيرهما"³، وهو بذلك يحدد السيميائيات التي تهتم بنشاط السيميوزيس (semiosis) والتي تميزت بها سيميوطيقا بيرس (peirce).

"كون السيميوطيقا البيرسية ذات طابع اجتماعي هو أنها ليست نظرية ثابتة وجوهريّة للعلامة، ولكن نظرية للسيميوز (semiosis) أي لصيرورة إنتاج العلامات ولصيرورة

¹ - أحمد يوسف، يتم النص والجنالوجيا الضائعة (تأملات في الشعر الجزائري المختلف)، ص 14.

² - دانيال تشاندلز، أسس السيميائية، ترجمة، طلال وهبة رجعه، ميشال زكريا، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط1، أكتوبر 2008، ص 351.

³ - أحمد يوسف، يتم النص و الحينالوجيا الضائعة (تأملات في الشعر الجزائري المختلف)، ص 15-16.

جدلية¹، ولهذا نظر للمعنى والدلالة بأنها ليست معطى جاهزا يوجد خارج العلامات وخارج قدرتها في التعريف والتمثيل فالمعنى لا يوجد في الشيء وليس محايداً له، إنه يتسرب إليه عبر أدوات التمثيل، وهو يشير إلى أن إدراك الكون ليس مباشراً²، وهذه النظرة للمعنى والدلالة على أنها ليست معطاً أولياً وقاراً في بنية النص، هذا ما جعله يدرج منهجه ضمن المناهج ما بعد، حيث ودعا إلى النسق المفتوح الذي يشكل فيه تعدد الوظائف تعبيراً، هو الذي يجعل من النسق البيروسي متفوقاً³.

¹ - جبرار دولودال، السيميائية أو نظرية العلامات، ترجمة، عبد الرحمن بوعلي، دار الحوار للطباعة والنشر، اللاذقية، سوريا، ط 1، 2004، ص 243.

² - سعيد بنكراد، السيميائيات والتأويل (مدخل إلى سيميائيات ش، س، بورس)، مؤسسة تحديث الفكر العربي بيروت، لبنان، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء المغرب، ط 2005، ص 1، ص 175.

³ - ينظر: جبرار دولودال، السيميائيات أو نظرية العلامات، ترجمة، ص 145.

المطلب الثاني: الإجراء النقدي

أثناء تحديد الناقد لمعاني تيمة اليتيم وغيرها من التيمات عمد إلى جملة من الإجراءات التي حرص من خلالها على دراسة المعنى وهي كثيرة فاخترنا البعض منها:

استثمار الناقد سيميائيات بيرس وتصنيفه الثلاثي للعلامة:

استعان الناقد بتصنيف بيرس (peirce) للعلامة على مستوى الموضوع فنجده يقول: "أصبح التقسيم الذي وضعه بيرس للعلامات مقولة أساسية في الدراسات السيميوطيقية"¹، ويظهر هذا أثناء تحليل الناقد لسيميائية الرحيل يقول: "إن التحليل السيميائي للترحال دون الوقوف عند العائلة اللغوية لمفردة الترحال التي تكاد تكون النسبة الغالبة في شعر سعيد هادف ومتناسقة مع جملة من التيمات التي سيأتي ذكرها بعد حين تمثل المستويات الثلاثة للعلامة التي حددها بيرس ب: الممثل والموضوع والمؤول، وسنقف على مستويات العلامة"²، فنجده يرصد بعض التيمات باعتبارها مؤشراً على الرحيل مثل الأوجاع، والآه، وتخوف النقصان، والهذيان، والبدايات، ولوح نوح³.

وفي تصنيف الأيقونة اختار علامة 'الشمس' من نص سعيد هادف وحاول أن يبرز دلالاتها باعتبارها أيقونة، وعد تيمة الترحال الكلمة (المفتاح) لفهم العلامات الأيقونية في الصورة الشعرية⁴، كما اشترط على تيمة الترحال أن تكون رمزها بأن تقرأ في بيئتها الثقافية بموجب قانون أو تواضعات اجتماعية⁵.

¹ - أحمد يوسف، يتم النص والجنينولوجيا الضائعة (تأملات في الشعر الجزائري المختلف)، ص 14.

² - سيزا قاسم، نصر حامد أبو زيد، حول بعض المفاهيم والأبعاد، ضمن كتاب (أنظمة العلامات في اللغة والأدب والثقافة،

مدخل إلى السيميوطيقا) مقالات مترجمة ودراسات، دار إلياس العصرية، القاهرة، مصر، ص 31.

³ - أحمد يوسف، يتم النص والجنينولوجيا الضائعة (تأملات في الشعر الجزائري المختلف)، ص 131.

⁴ - المرجع نفسه، ص 131.

⁵ - المرجع نفسه، ص 136-137.

وحاول في الفصل الثاني والمعنون بـ 'سيميائية الجسد في النص' أن يستثمر آلية التأويل السيميائي باعتبار أن آلية التأويل، هي القسم المنهجي الأصيل الذي يشارك السيمياء وضعه النقدي في مقارنته للنصوص والظواهر الإبداعية، وقد أشار في المقدمة إلى استناده على هذه الآلية النقدية بقوله: "قصد الارتقاء بفعل التأمل وإثراء أسلوب التحليل في أثناء التأويل"¹، أشار هنا إلي أن التأويل هو انتقال من المعنى الحرفي إلى وجوهه الرمزية. ودعا الناقد إلى التحليل الذي تتراحم فيه السيميائية بالتأويلية فيقول: "وهذا الأنموذج من التحليل الذي تتراحم فيه السيميائية بالتأويلية هو ما نعتقده ونؤمن به، ودعونا له"². وتناول العلامة البصرية لسيميائية بيرس (peirce) فيقول على سبيل المثال عند تحليله لنص نور الدين طيبي: "يمارس في هذا السياق نفسه نور الدين طيبي تفكيك الجسد ليس على الصعيد دلالي، كما هو في النصوص الشعرية السابقة، وإنما يأتيه من باب تفكيك الخطاب البصري، وإلغاء وحدته في الرسم وتماسكه في الكتابة الخطية، فصار شبيها بالكون السحري لسيمياء الحروف وأسرارها"³، إلى أن يصل لرأيه في هذه الآلية النقدية فيقول: "إن جمالية الخطاب البصري للجسد في النص في النص تعد وقعا في حد ذاته لكونها إشارة دلالية أملاها اللاتوقع واقتضتها البرهة القصيرة التي استغرقت في المسبح الصيني لشكل كتابة الجسد المفكك خطيا"⁴، كما أشاد بما قام به بعض الشعراء الذين استغلوا الطاقات التعبيرية التي توفر الفنون التشكيلية. وهي شعرية الخطاب البصرية بأبعاده السيميائية التي التفت إليها الشعر الحدائي مستثمرا جمالية الخط⁵.

إضافة إلى ما وفرته سيميائيات بيرس (peirce) وانفتاحها للتأويل الذي اتخذته الناقد فإنه قد عمد إلى السيميائيات الغريماشية (greimas) ومدارستها للمعنى "فأساس السيميوطيقا

¹ - أحمد يوسف، يتم النص والجينالوجيا الضائعة (تأملات في الشعر الجزائري المختلف)، ص 14.

² - المرجع نفسه، ص 253.

³ - المرجع نفسه، ص 219.

⁴ - المرجع نفسه، ص 219.

⁵ - المرجع نفسه، ص 218.

البيرسية هو أساس منطقي رياضي كما هو الحال بالنسبة لسيميوطيقا أ، ج جريماس، والفرق بينهما أن جريماس يركز على المنطق الحملي لأرسطو من أجل أن يبني نظرية ما يسمى بالمرجع المنطقي في حين أن بيرس يبني سيميوطيقا، على منطق العلاقات الذي هو مكتشفه¹.

¹ - جيرار دولودال، السيميائية أو نظرية العلامات، ترجمة، عبد الرحمن بوعلي، ص 240-241.

استثمار الناقد للمربع السيميائي:

تناول الناقد آلية نقدية أخرى وهي المربع السيميائي، لتحليل قصيدة 'سيرة الفتى' لعبد الله العشي يقول: "ونحن حاولنا أن نقدم صورة هذه الخطاب من منظور المربع السيميائي الذي طرحه غريماس لألفيناه يتناسل إلى جملة من الدلالات التي تعضدها البنية الكلية للقصيدة"¹، ويقول كذلك: "يساعدنا المربع السيميائي بوصفه أنموذجا تركيبيا يقوم بتنظيم العمليات وضبطها"². وخلص بعد تحليله لدلالة العزة والذل حسب ما قدمه هذا الإجراء إلى أنه "لم نرد بهذا التطبيق السيميائي لمربع غريماس الذي استمد أصوله من المنطق الصوري الأرسطي إلا إبراز تناسل الدلالة بين الوحدتين السيميتين (sème) قصد تحليل مدلولاتها التي لا ندركها إلا من عملية الانتقال من مستوى البنية السطحية إلى مستوى البنية العميقة"³، ومع ما يوفره المربع السيميائي حاول الناقد إضافة إلى دور المعنى وتجلياته في النص الشعري مدارس شكل النص الشعري وكذلك الوقوف على عتباته النصية.

¹ - أحمد يوسف، يتم النص والجنينالوجيا الضائعة (تأملات في الشعر الجزائري المختلف)، ص 251.

² - المرجع نفسه، ص 251.

³ - المرجع نفسه، ص 252.

استثمار الناقد للعتبات النصية:

تعد العتبات النصية من أهم ما يتناوله الناقد في تحليل النصوص نذكر منها مايلي:

أ- **عتبة العنوان:** ركز الناقد كثيرا على قراءة العناوين في القصائد والدواوين الشعرية وذلك لأن الحضور العنواني يرتبط بالثقافة الكتابية، وهو يبرز أمام المتلقي بوصفه شاهدا على النص الموجود بقوة الكتابة، ويتمركز في قمة الهرم النصي ليدل على ذاته وعلى فضاء النص، وعالمه وطبيعته، فانتقلت عتبة العنوان من مجرد فضاء مجرد وعام وتقليدي للتسمية، إلى ضرورة طباعية وعنصر فضائي وعتبة من عتبات القراءة، تساهم في استقبال، وينظر إليها بوضعها حاملا مركزيا ومفتاحا جوهريا من مفاتيح النص، لا يمكن إدراك طبيعة ودلالات المتن النصي من دون فهمه واستيعاب حدوده، ومن دون الكشف عن حمولته السيميائية والرمزية المكثفة¹، ومن الأمثلة التي تدل على استناد الناقد على هذه الآلية النقدية، قوله عن شعرية العناوين: "إذا قدمنا مقارنة سيميائية لشعرية العناوين لألفينا أنها تحمل بعض هذه الدلالات التي أشرنا إليها آنفا بدءا من الثنائية التي يحملها عنوان الديوان 'اللعة والغفران' أي الخطيئة ثم الرحمة، وهذا يدل على أن عز الدين لا يحمل قنامة "جيل اليتيم"².

كما يتناول في موضوع لغة البرق وجمالية الفراغ عناويننا لبعض القصائد ويقدم تحليلا بواسطة استقرائه لهذه العناوين يقول: "تبدو عناوين هذه القصائد ذات وحدات معجمية قصيرة جد تصل إلى درجة أنها لا تشكل كلاما مفيدا بتعبير النحاة العرب مثل الاسم الموصول 'الذي' فهي مليئة بالفجوات والفراغ الذي يتطلب حضور القارئ لبناء انسجامه مثل العنوان الذي يرد في صيغة استفهام 'ما الذي' أو في صيغة الابتداء الذي يحتاج إلى اخبار أو موصوف، ولا سيما تلك المصادرة التي وردت نكرات مثل: انتهاك، وانخطاف، وانهمار، وسوار، ومخاتلة، وحماسة، ولباقة، وطرب، ومصيدة، وإن هذه العتبات النصية التي تشكل

¹ - أحمد يوسف، يتم النص والجينالوجيا الضائعة (تأملات في الشعر الجزائري المختلف)، ص 147-149.

² - المرجع نفسه، ص 118.

شعرية العناوين توحى لك بأن عالم سليم رحال لا يقبل التفاصيل المملة، ولا الزخرفة اللغوية المتهالكة، إنه عالم أشبه بلغة البرق المفتوح على السؤال، لأنه لا يعرف الأشياء ولا يقيد الكلمات بالختم البلاغي، والإيقاع الصداح " ¹.

ب- **عتبة الإهداء:** واعتمد الناقد على عتبة نصية أخرى وهي عتبة الإهداء

حيث نجد فيها التقدير والعرفان للآخرين سواء كانوا أشخاصاً، أو مجموعات ونذكر على سبيل المثال ما أدرجه في بحثه عن تيمة الوطن يقول: "ولعل شعرية الإهداء في مقدمة قصيدة" آه يا وطن الأوطان ليوسف وغليسي أبلغ تعبيراً عن هذا الإحساس بالغرابة داخل الأوطان" ².

ويقول في بحثه عن تيمة 'اليتيم': "تعلن العتبة النصية التي تمثلها هنا شعرية الإهداء التي نقلتها في قصيدة 'النهر' لميلود خيزار كما يشبه بيان اليتيم الذي يقدمه هؤلاء الشعراء للتعبير عن رؤيا مشتركة لهذا الجيل" إلى الشاعر مصطفى دحية شقيقاً وصديقاً في اليتيم" ³.
كما لجأ إلى هذه الآلية النقدية في بحثه عن تيمة "قتل الأب" في قصيدة "أغنية لأمر بلقيس" لميلود خيزار يقول: "إن ما يوضح هذا الانحياز للأوممة والأنوثة خطاب العتبة النصية الذي يتضمنه الإهداء" إلى صاحبتى ومصباح بيتي....حياة"، وبصيغة سردية يقدم صورة الأب وفي ملازمة لأسطورة الدهر" ⁴.

وبهذا فقد حاول الناقد أن يعدد الإيحاءات التي تبرز معنى تيمة 'اليتيم' والقيمات الأخرى المهيمنة على الشعر الجزائري المختلف.

¹ - أحمد يوسف، يتم النص والجنولوجيا الضائعة (تأملات في الشعر الجزائري المختلف)، ص 152.

² - المرجع نفسه، ص 111.

³ - المرجع نفسه، ص 145.

⁴ - المرجع نفسه، ص 179.

استثمار الناقد لجمالية الخطاب البصري (الفراغ الباني):

لزم علي الناقد أحمد يوسف استقراء الجانب البصري في الشعر الجزائري المعاصر لحقبة ما بعد الحداثة، فتناول معطى الفضاء في القصيدة المعاصرة لأنه مهماً للدخول إلى عالم المعنى ذلك أن الصفحة تتوزع بين البياض والسواد، وهذا يظهر في قوله: "عليه يبدو شعر عبد الله العشي واسطنبول ناصر مليئا بما يسميه أيزر بـ 'الفراغ الباني' ودرس إحياءات الخطاب البصري في قصائد السخرية في ألوان أغلفتها ورسوماتها والخطوط المرافقة للملصقات المكتفية بالون الأبيض والأسود¹، يقول في ذات الموضوع: "إن الشيء الذي تغير أولا هو تفكيك ائتلاف الحروف، واختلافها عن البنية الخطية المعهودة وبعيدا عن النظر إلى كتابة الجسد بحروف غير متناسقة خطيا من أنها صنعة زخرفية وحذاقة فنية، وتحطيم لأصول الإنشاد الشعري، فإن الأمر الثاني يتعلق باستدعاء المتلقي واشتراط حضوره في بناء النص وإنتاج معناه. إن جمالية الخطاب البصري للجسد في النص تعد وقعا في حد ذاته لكونه أثارة دلالية أملاها الا توقع واقتضتها البرهة القصيرة التي استغرقت في المسح العيني لشكل كتابة الجسد المفكك خطيا، ويواصل حديثه شعر اليتيم "الذي أدرك الطاقات التعبيرية الخلاقة التي تتوافر عليها الفنون التشكيلية مما جعل لها حضورا متميزا في المتن الشعري سواء من حيث المحتوى أو من حيث البناء الفني، ولا غرو أن نجد الفنان لخضر شوادير يخصص أحد عناوين قصائده للفنان كاندسكي 'كاندسكي ظلام يتحرك' مضمنا معجمه الشعري بدلالة الفن وأدواته وألوانه التي لها حوامل وجدانية وأغوار نفسية تتلاحق مع الآفاق الصوفية المتناهية. وعليه كانت قصائد لخضر شوادير لوحات مشكلة بألوان لغوية غارقة في العجائبية وموغلة في التعمية التجريد"²، ليخلص بعد ذلك إلى "أن اللجوء إلى هذه التقنية

¹ - أحمد يوسف، يتم النص والجينالوجيا الضائعة (تأملات في الشعر الجزائري المختلف)، ص 179.

² - المرجع نفسه، ص 219-220.

في التعبير واستثمار الفنون التشكيلية هي إذن دعوة إلى لمشاركة المتلقي الجسدية عن طريق العين في تفكيك الجسد¹ أحمد يوسف.

استثمار الناقد للتناص:

لجأ الناقد إلى إبراز التناص محاول أن يبين ذلك من خلال رأيه المتمثل في يتم النص وغرابته "فهو يقوم بتركيب ماضيه من خلال فصل المثاقفة المشوهة، ولا غرو أن يصبح هذا النص الشعري هجينا يمارس لعبة التشويه بلذة مرضية وبما أنه لا يحس بعبء المركز سواء أكان غريبا، أم عربيا مشرقيا، أم عربيا مغاربيا، فهو الهامش والمركز في آن واحد"². وباعتبار التناص أو ما أطلق عليه مصطلح (التهجين للشعر الجزائري المختلف)، فقد رصد الناقد حضور نصوص "صلاح عبد الصبور في بعض أشعار شعراء اليتيم ونزار قباني، وبدر شاكر السياب وغيرهم من شعراء الحداثة، وخلص إلى الرأي الذي يدعم به حجته حول هذا الشعر الذي تميز باليتيم وفقده لجينالوجيته وذلك لأن هذا الشعر بدل أن تهاجر إليه هذه النصوص، فهو الذي يهاجر إليها، محققا ما أطلقنا عليه فعل "المثاقفة المشوهة" لا هي سرقات شعرية ولا هي تناص، بل هي عبارة عن بناء نص على نص بطريقة ساخرة، متطفلة مجردة النص من صاحبه³. فالناقد قد استعمل هذه الإستراتيجية النقدية لإبراز اليتيم والاختلاف الذي مارسه النص الشعري الجزائري المعاصر عن بقية النصوص الأخرى.

ومن خلال هذه الآليات النقدية للمنهج السيميائي التي استعان بها الناقد، والتي اعتمد عليها في المستوى التطبيقي وهو التركيب المنهجي الذي تحدث عليه في المقدمة بحيث تكون القراءة عنده ليست أسيرة لأي عبودية منهجية وتستجيب لآلية التركيب وخصيصة النص

¹ - أحمد يوسف، يتم النص والجينالوجيا الضائعة (تأملات في الشعر الجزائري المختلف)، ص221.

² - المرجع نفسه، ص155.

³ - المرجع نفسه، ص155.

المقروء¹، ومن أمثلة ذلك رصده لسيميائية الاخضرار عند الشاعر محمد مصطفى الغماري باعتبارها "تيمة مهيمنة لها أبعاد فكرية وفنية يمكن أن تكون لديه ما اصطلح عليه لوسيان غولدمان برؤيا العالم، إن هذه الرؤيا للعالم التي تتعلق بالعرفانية في تعبيرها"²، فامتزجت عند الناقد آليات المنهج السيميائي بإحدى أهم مقولات البنيوية التكوينية وهي 'رؤيا العالم' . ورغم أن الناقد لم يوغل حسب رأيه في الجانب التطبيقي للمنهج السيميائي في بيان بعض التيمات إلا أن القارئ يلحظ ذلك العدد الكبير من الآليات النقدية المعتمدة من طرف الناقد في المنهج السيميائي خاصة، مثل استنثاره لثلاثية العلامة عند بيرس (الموضوع) (مؤشر، أيقونة، رمز)، والمربع السيميائي في رصد تجليات المعنى، وحضور الخطاب البصري ومدارسته، تتاوله للعتبات النصية (عتبة العنوان، وعتبة الإهداء) كما جاءت عند جيرار جنيت (G.Gènette) وغيرها كثير مما عمق الدراسة ومكن الناقد من رصد جوهر هذا النص المختلف باعتبار أن قصيدة الشاعر المعاصر من تقاليد شعرية وموسيقية عديدة بل أنها تشابه الأعمال التشكيلية، والنحتية، والهندسية والمسرحية وإذا كان الأمر هكذا فإنه صار من الاختزال المعيب لآثار الشعراء المعاصرين أن تحلل بمفاهيم غير مؤهلة للنفوذ إلى أعماقها و بيان مراميها و مغازيها³ .

رغم ما يلاحظ من توزع لبعض الأحكام النقدية التي حاول الناقد أن يقلل منها حسب رأيه إذ "أن الدارس لا يسقط في أحكام القيمة وان كانت من الصعب التجرد منها"⁴ ويقول في موضع آخر " كما أننا لم نستطع الإفلات من قبضة الأحكام وان كنا نسارع إلى التقليل من أهميتها لدينا، ونحتمي بلغة نقدية يغلب عليها المنطق النسبي أكثر مما يغلب عليه الحكم المطلق"⁵، حيث جنحت هذه الأحكام إلى ربط العلاقة بين النص الشعري الجزائري الحديث

¹ - المرجع السابق، ص 14.

² - المرجع نفسه، ص 131.

³ - محمد مفتاح، مفاهيم موسعة للنظرية الشعرية (اللغة - الموسيقى - الحركة) نظريات وأنماط، ص 296.

⁴ - أحمد يوسف، يتم النص والجينالوجيا الضائعة (تأملات في الشعر الجزائري المختلف)، ص 267.

⁵ - المرجع السابق، ص 267.

ببعض المؤثرات السياسية خاصة والاقتصادية والاجتماعية والثقافية حاولت أن تبعد هذه القراءة عن المسار النصي وتخضعها لسلطة السياق، إلا أن تعمقه في النص الشعري الذي يجسد اليتيم وبحثه في تيماته وبنيته اللغوية والفنية والإيقاعية. ورصده لشعرية الانزياح فيه مكنه من أن يلج محور المناهج النسقية عامة والبنوية الموضوعاتية والتكوينية خاصة فتناوله كان تناولاً نصياً حاول فيه أن يقترب حسب قوله من نبض النص الشعري المختلف دون تسليمه أي امتياز مسبق ومجاني وتفضيله على أي تجربة شعرية دون أخرى¹.

¹ - المرجع نفسه، ص 267.

المطلب الثالث: المصطلح النقدي عند أحمد يوسف

حاول الناقد في هذه الدراسة أن يقلل من المصطلحات النقدية في الدراسة وهذا حسب قوله: "علما بأننا تجنبنا تعويم هذه الدراسة بالمصطلحات إلا ما استدعت الضرورة، واكتفينا بالتفاعل مع النص الشعري مدا وجزرا"¹ ، ومع ذلك فإننا لاحظنا بعض المصطلحات النقدية التي توزعت في ثنايا المؤلف تستحق الدراسة حيث تفرد بها عن غيره، ونذكر منها مايلي:

1. مصطلح الشعر المختلف:

اختار الناقد أن يطلق مصطلح النص الشعري الجزائري المختلف الذي تميز به بعض الشعراء الجزائريين واتسم ببعض الميزات عن بقية النصوص الشعرية الجزائرية التي سبقته، وحتى العربية، والغربية، مع أنه لا يربط فكرة الاختلاف بالمبادئ الفلسفية التي جاءت بها التفكيكية بل أن "صفة المختلف مجردة هنا من أي تبعية فلسفية مسبقة أو انتماء فكري ضيق"².

2. مصطلح شعر اليتيم:

وقد ميز الناقد هذا الشعر والذي يتسم بقطع الأوصال بينه وبين بقية النصوص الشعرية الجزائرية التي تسبقه، والعربية المشرقية والمغربية ولا حتى الغربية، ولأن التيمة المهيمنة عليه هي تيمة "اليتيم"³ أو فقدان الأبوة والسلالة الشعرية، وهذا المصطلح الذي جاء به الناقد للشعر الجزائري المعاصر تفرد به، إذ نقلنا مثلا الناقد شايف عكاشة يسميه الشعر الجزائري المعاصر⁴، وكذلك كل من العربي دحو والذي أطلق مصطلح القصيدة المعاصرة⁵، وعبد

¹ - أحمد يوسف، يتم النص والجنالوجيا الضائعة (تأملات في الشعر الجزائري المختلف)، ص12.

² - المرجع نفسه، ص40.

³ - المرجع نفسه، ص14.

⁴ - شايف عكاشة، مدخل إلى علم الشعر المعاصر في الجزائر (قراءة مفتاحية منهج تطبيقي)، ديوان المطبوعات

الجامعية، الجزائر، 1988 ، ص 10.

⁵ - العربي دحو، دراسات وبحوث في الأدب الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1991، ص50.

الحميد هيمة الذي أدرجه في عنوان مؤلفه (الشعر الجزائري المعاصر)¹، وهذا يبرز حضور المنهج الموضوعاتي الذي اعتمده أحمد يوسف والذي مكنه من رصد تيمة اليتيم التي سيطرت على هذا الشعر حتى أطلقها صفة له، خالفت ما جاء عند غيره من النقاد الجزائريين الذين تناولوا هذا الشعر.

3. مصطلح 'شعراء المابين':

يقول عنهم الناقد "هناك جيل من الشعراء (المخضرمين) شكلوا تواسلا نسبيا ما بين (شعراء السبعينيات) و(شعراء اليتيم)، ونحن نعتقد قبل غيرنا بأن هذا التصنيف يشوبه الغموض والضبابية. انه إجراء أكثر منه مفهوما، ويمكن الإشارة إلي بعض ممن يمكن أن ينطبق عليهم مثل هذا التصنيف، بل الوصف كعبد الله العشي واسطنبول ناصر ولخضر فلوس وعلي ملاحى والعربي عميش ويحياوي عياش والي حد ما لخضر بركة ممن لا يتقاطعون في جميع النقاط مع شعراء اليتيم. فهم من الشعراء الذين يقعون في منطقة "المابين" لا هم ينتسبون إلي (شعراء السبعينيات) ولا إلي هذا الجيل المتمرد والمتشرد في متاهات اللغة والتجريب في ظل إحساسه بغياب السلالة الشعرية، ولهذا يجوز لنا ان نطلق عليهم -تجوزا- شعراء المابين"²

ويقول عنهم: "الذين عاشوا في فترة، السبعينيات، ولكنهم لم تكن لهم رؤيا إيديولوجية واحدة فكان إبداعهم مغايرا بعض الشيء لإبداع هؤلاء أو أن بعضهم لم تتح لهم الهيمنة السياسية ذات التوجه اليساري آنذاك مجالا واسعا للنشر والظهور، لأنها كانت تمارس رقابة ثقافية على الإبداع، وحتى على اختيار تيماته، وعليه فإننا لم نحكم البعد الزمني 'الكرونولوجي' في

¹ - عبد الحميد هيمة، البنيات الأسلوبية في الشعر الجزائري المعاصر (شعر الشباب نموذجا)، مطبعة هومة، الجزائر، ط1، 1998، ص40.

² - أحمد يوسف، يتم النص والجينالوجيا الضائعة (تأملات في الشعر الجزائري المختلف)، ص83.

مقاربة هذا النص الشعري¹، ويقول في موضع آخر "جيل من الشعراء شكلوا تواصلا نسبيا ما بين 'شعراء السبعينيات'، وشعراء اليتيم"².

4. مصطلح الجينالوجيا الضائعة:

مصطلح الجينالوجيا من بين المصطلحات التي اشتهر بها نيتشه (nietzsche) وفوكو (foucault) والناقد لا يخفي تأثره بما قدمه كل منهما واستثماره لبعض الآليات النقدية الحرفية إذ يقول: "بينما تصطنع هذه المقاربة الجينالوجية اصطناعا حضريا لا تخفي مرجعيته الانتشوية والفوكاوية على السواء"³ ورغم ضبابية هذا المصطلح وغموضه إذ أن الجينالوجيا ذات لون رمادي مشوب بالغموض تتطلب الكثير من الأناة والتوثيق، ذلك أنها تتعامل مع مخطوطات قديمة مشاكله، فهي تتطلب عناء معرفيا وعتادا من التراكم وصبرا، إنها باختصار باعا علميا طويلا⁴، وفي تعريف آخر نجده يقول: "إن الجينالوجيا تعني العنصر التفاضلي للقيم الذي تتبع منه قيمتها بالذات، وتعني إذا الأصل. إنها تعني النبل والخساسة، النبل والدناءة النبل والانحطاط في الأصل. فالنبل والدنيء والسامي والخسيس ذالكم هو العنصر 'الجنالوجي' بحصر المعنى"⁵

والناقد في خضم بحثه عن السلالة الشعرية لشعر اليتيم حاول أن يستعين بهذه التقنيات الحرفية.

¹ - المرجع السابق، ص 119.

² - أحمد المرجع نفسه، ص 83.

³ - المرجع نفسه، ص 14.

⁴ - ميشال فوكو: جينالوجيا المعرفة، ترجمة: أحمد السطاتي، وعبد السلام بنعبد المالي، دار توبقال للنشر، الدار

البيضاء، المغرب، ط2، 2008، ص 63-64.

⁵ - المرجع نفسه، ص 14.

وكثيرة هي المصطلحات التي وردت عند الناقد وتفرد بها لوصف هذه النوع الشعري الجزائري ومنها 'النص المستحيل'¹ كل ذلك يبرز اعتماده التأويل جانبا كبيرا في عملية تحليل النصوص الشعرية الحداثية وحتى وضع مصطلحاتها. ووردت مصطلحات أخرى للمنهج السيميائي عند تحليله لبعض التيمات المهيمنة علي النص منها:

1. **مصطلح المؤشر:** استعان الناقد مصطلح المؤشر عند تحليله لسيميائية الترحيل فنجده يقول: "الاجواع والاه وتخوم النقضان والهديان والبديات واليبس ولوح نوح كل هذه العلامات المفردة مؤشرات للرحيل"²
2. **مصطلح الأيقونة:** وهي أحد التقسيمات الثلاثية التي جاء بها بيرس للموضوع، فنجده يقول: "تمثل الأيقونة مرتبة من مراتب الوجود التي يصعب استحضارها حتي يتسني لنا الوقوف على سمات بلاغة النص الشعري الجزائري المختلف"³.
3. **مصطلح الرمز:** جاء الناقد بمصطلح الرمز ضمن ثلاثية بيرس للموضوع بقوله: "تصلح تيمة الترحال علامة رمزية عندما تقرا في بيئتها الثقافية بموجب قانون أو تواضعات اجتماعية، وليس من الغرابة في شيء أن يكون رمز الترحال مؤشرا من نوع خاص"⁴ حيث استهلها ليضهر تيمة من تيمات اليتم وهي تيمة الترحال.
4. **مصطلح السيميتين (sème):** ووظف الناقد هذا المصطلح معريا بقوله: " لم نرد بهذا التطبيق السيميائي لمربع غريماس الذي استمد أصوله من المنطق الصوري الأرسطي إلا إبراز تناسل الدلالة بين الوجدتين السيميتين (sème) قصد تحليل مدلولاتها التي لاندرکها إلا من عملية الانتقال من مستوى البنية السطحية إلي مستوى البنية العميقة"⁵.

¹ - ميشال فوكو: جينالوجيا المعرفة، ص 263.

² - أحمد يوسف، يتم النص والجنالوجيا الضائعة (تأملات في الشعر الجزائري المختلف)، ص 131.

³ - المرجع نفسه، ص 135.

⁴ - المرجع نفسه، ص 138.

⁵ - المرجع نفسه، ص 252.

الملاحق

السيرة العلمية للناقد أحمد يوسف¹:

ولد أحمد يوسف سنة 1960/04/01 بعين البرد بولاية سيدي بلعباس، حيث تلقى تعليمه الابتدائي والمتوسط والثانوي (تخصص الرياضيات)، عين أستاذا للتعليم المتوسط بعدما تلقى تكويناً بإطارات التعليم المتوسط بالمعهد التكنولوجي (يغموراسن) وهران سنة 1981، ثم أستاذا للتعليم الثانوي بثانوية بوخلدة مختار بسيدي بلعباس، وهذا بعد التحاقه بالمدرسة العليا لأساتذة التعليم بجامعة وهران سنة 1985، ثم واصل دربه في الميدان العلمي حيث تحصل على شهادة كفاية التعليم الثانوي سنة 1989، كما تحصل على شهادة الليسانس (بكالوريوس) قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة وهران بدرجة ممتاز سنة 1985، لعين معيدا بالجامعة سنة 1986، ثم تحصل على شهادة الماجستير في نفس القسم بجامعة وهران سنة 1989 بدرجة مشرف جدا، والدكتوراه دولة بقسم اللغة وآدابها سنة 1999، كما تحصل على شهادة دكتوراه دولة بقسم الفلسفة سنة 2004، وتقلد عدة مراتب في الجامعة في مجال التدريس آخرها أستاذ مثبت مدمج سنة 2008.

كما كانت للناقد عدة مشاركات وفعاليات في الجوانب العلمية والثقافية للجامعة أهمها أستاذ محاضر بقسم اللغة العربية وآدابها جامعة السانية وهران، وأستاذ باحث بنفس القسم وأستاذ مشارك بجامعة التعليم المتواصل جيلالي اليابس بسيدي بلعباس، وعضو اللجنة العلمية بقسم اللغة العربية وآدابها بوهران، ثم عضو المجلس العلمي بكلية الآداب واللغات والفنون بجامعة وهران، ثم رئيسا للجنة العلمية بقسم اللغة العربية وآدابها بجامعة وهران 2003 إلى 2008. وعضوا سابقا باللجنة الوطنية لإعادة البرامج التعليمية، وعضوا سابقا باللجنة الوطنية لإصلاح المنظومة التعليمية، ورئيسا للجنة العلمية للندوة الحديث النبوي الشريف بكلية الدراسات الإسلامية و العربية دبي الإمارات العربية المتحدة.

كما قدم الناقد العديد من الأبحاث المنشورة في المجالات العلمية والكتب المحكّمة حيث فاقت خمسة وعشرين مقالا تتوزعها العديد من الجهات العلمية ونذكر البعض منها والتي أبرز فيها الناقد توجهه إلى النقد الحداثي من سيميولوجيا وبنوية وتأويلية.

• أثر الجلوسيماتيا في النظرية السيميائية، مدرسة باريس نموذجاً، مجلة عالم الفكر 2010.

• التلفظ و إنتاج المعنى، مقارنة في سيميائيات الخطاب، ندوة دولية حول قضايا المنهج في الدراسات اللغوية والأدبية والنظرية والتطبيق، جامعة الملك آل سعود.

• تهافت المعنى وهباء الحقيقة، دراسة في البلاغة السفسطائية، مجلة الفكر، 2009 .

• السيميائيات التأويلية وفلسفة الأسلوب، مجلة الفكر، 2007.

• السيميائيات والبلاغة الجديدة، مجلة علامات، 2007.

• السيميائيات ومرتكزاتها الابستيمولوجيا، مجلة سيميائيات، 2006.

• السيميائيات والتواصل، مجلة علامات، 2005.

• السيميائيات الكانطية بين المنطق المتعالي للزعة التجريبية، مجلة سيميائيات،

2005.

• شعرية الإهداء، مقارنة سيميائية للعتبات النصية، قسم اللغة بجامعة وهران، 2006.

• بين الخطاب والنص، مجلة تجليات الحداثة، قسم اللغة والعربية بجامعة

وهران، 1993.

إضافة إلى العديد من المقالات النقدية في النقد الحداثي منشورة في المؤتمرات والندوات والأيام الدراسية وفي مجال تأليف الكتب والتقارير والدراسات فإن الناقد قد أسهم بالعديد منها الكتب التالية:

• السيميائيات الواصفة (المنطق السيميائي وجبر العلامات).

• الدلالات المفتوحة (مقاربة سيميائية في فلسفة اللغة) .

• سيميائية التواصل وفعالية الحوار (المفاهيم والآليات).

- السلالة الشعرية في الجزائر (علامات الخفوت وسيمياء اليتيم).
- يتم النص وجينيالوجيا الضائعة.
- القراءة النسقية ومقولاتها النقدية.

وهناك مؤلفات اشترك فيها الناقد مع غيره وهي :

- لغة الحياة 2010 ، وكتاب مكانة العربية بين اللغات العالمية 2001 ، ومقال سلطة اللغة ومركزية الخطاب الأحادي 2002..... إلخ.

الخاتمة


وأخيرا يمكن القول أن أحمد يوسف يعد واحدا من أهم النقاد الذين تبنا المناهج النقدية الحديثة، والمتمثلة في المنهج البنيوي والمنهج السيميائي، وإعراضه عن المناهج السياقية، بوعي نقدي كبير وزاد معرفي متعدد، ما مكنه من الغوص في أصول هذه المناهج النقدية الغربية فجمع بذلك بين النسق والتأويل الذي استدعى من الناقد أن يطلع على كل ما دار في الساحة النقدية العربية، فتميز منهجه النقدي بالثراء المعرفي والاطلاع الموسع على كل الإصدارات الغربية والعربية، ويبقى هذا الجهد بحاجة إلى المزيد من الدراسات خاصة حول المصطلح النقدي.

وقد قادتنا هذه الدراسة المتواضعة إلى النتائج التالية:

- ✓ ينبغي علينا أن نعترف أولا بأن هذا الكتاب محاولة فريدة من نوعها للناقد الجزائري أحمد يوسف.
- ✓ انتصاره للنسق المفتوح وتعدد القراءات، واستعماله التأويل كآلية نقدية تستوجبها القراءة ورفضه للنسق المغلق الذي كرسه البنيوية الصورية) التي أقصاها الناقد من اتجاهات البنيوية عنده.
- ✓ انتصاره للسيميائيات كمنهج نقدي تجاوز المنهج البنيوي واتسم بالانفتاح على مستوى الدال و تحرره المدلول.
- ✓ تأثر الناقد أحمد يوسف بالسيميائيات الأمريكية التي بشر بها بيرس ومحاولته لتأصيل بعض المفاهيم والمصطلحات السيميائية وربطها بالتراث الغربي والعربي.
- ✓ تبنيه لاتجاه جديد في السيميائيات وهو سيميائيات الصورة (السيميائيات الأيقونية) واستثماره لها في التطبيق على النصوص الشعرية واكتشاف جمالية الفراغ الباني.
- ✓ استفادة الناقد من المناهج النقدية الحديثة أثناء تحليل النصوص الشعرية الحديثة، وهذا يبرز رؤيته النقدية متمثلة في أن المناهج النقدية الحديثة لا تصلح إلا للنصوص الحديثة أيضا.
- ✓ ميل الناقد لتحليل النصوص الشعرية فقط.

✓ دعوة الناقد للتلاحم بين السيميائيات والتأويليات، حيث استفاد منهما وما وفره التأويل من انفتاح قرائي.

✓ التأثر الكبير للناقد أحمد يوسف بما جاء به بيرس، وأمبرتو إيكو.



فهرس المصادر
والمراجع

1- القرآن

قائمة المصادر:

1- أحمد يوسف، يتم النص والجنالوجيا الضائعة (تأملات في الشعر الجزائري المختلف)، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة، الجزائر، ط1، 2002.

قائمة المراجع:

1. إديث كريزويل، عصر البنيوية، تر: جابر عصفور، ط1، دار سعاد الصباح، الكويت، 1992.
2. أحمد أبو زيد، مغل إلى البنائية، دط، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، القاهرة: 1955 م.
3. إديث كريزويل، عصر البنيوية، تر: جابر عصفور، ط1، دار سعاد الصباح، الكويت، 1992 م.
4. آن جفرسون وديفيد روبي، النظرية الأدبية الحديثة، تقديم مقارن، ترجمة: سمير مسعود، وزارة الثقافة، دمشق 1992.
5. أ.ج. غريماس، ج. كورتيس، د باط، الكشف عن المعنى في النص السردى (النظرية السيميائية السردية) ترجمة: عبد الحميد بورايو، دار السبيل للنشر والتوزيع، الجزائر العاصمة، الجزائر، ط1، 2008.
6. آراء عابد الجرمانى، اتجاهات النقد السيميائى للرواية العربية، منشورات ضفاف، بيروت، لبنان، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة، الجزائر، دار الأمان، الرباط، المغرب، ط1، 2012.
7. أحمد حسانى، مباحث في اللسانيات، و م ج الجزائر، 1994.
8. أحمد عزوز، المدارس اللسانية (أعلامها، ومبادئها ومناهج تحليلها للأداء التواصلى)، دار الأديب للنشر والتوزيع، الجزائر، دط، دت.

9. بارت رولان، مدخل إلى التحليل البنيوي للقصص، تر: منذر عياشي، ط1، مركز الإنماء الحضاري، سوريا:1993م.
10. بشير تاوريريت، الحقيقة الشعرية على ضوء المناهج النقدية المعاصرة والنظريات الشعرية (دراسة في الأصول و المفاهيم)، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2010.
11. التواتي بن التواتي، مفاهيم في علم اللسان، ط1، 2006.
12. جون ستروك، البنيوية وما بعدها من لفي شتراوس إلى دريدا، تر:محمد عصفور، عالم المعرفة، العدد206، دط، الكويت، 1998 م.
13. جون ستروك، البنيوية وما بعدها من ليفي شتراوس إلى دريدا، ترجمة: محمد عصفور، عالم المعرفة، المجلس الأعلى للثقافة، الكويت، 1996.
14. جميل حمداوي (مقال) السيميوطيقا والعنونة، مجلة عالم الفكر، المجلد 25، العدد3، مطابع السياسة - الكويت، مارس1997.
15. جيرار دولودال، السيميائية أو نظرية العلامات، ترجمة: عبد الرحمن بوعلي، دار الحوار للطباعة والنشر، اللاذقية، سوريا، ط1، 2004.
16. خليل شكري هياس، الجسد لا شعوريا مقال ضمن كتاب (سيمياء الخطاب الشعري من التشكيل إلى التأويل)، قراءات في قصائد من بلاد النرجس، دار المجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2010.
17. دانيال تشاندلز، أسس السيميائية، ترجمة، طلال وهبة رجعه، ميشال زكريا، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط1، أكتوبر2008.
18. رمان سلدن، النظرية العربية المعاصرة، تر:جابر عصفور، دط، دار قباء، القاهرة:1998.
19. زكريا إبراهيم، مشكلة البنية، أو أضواء على "البنيوية"، دط، مكتبة مصر، 3 شارع كامل صدقي(الفضالة): دت، 1976.

20. سيزا قاسم، نصر حامد أبو زيد، مدخل إلى السيميوطيقا (مقال) سيميولوجيا اللغة، لإميل بنفينيست، تر: سيزا قاسم، ط 1، الدار البيضاء 1986، ج1.
21. سعيد بنكراد، السيميائيات (مفاهيمها وتطبيقاته)، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، ط3، 2012.
22. سعيد بنكراد، السيميائيات والتأويل (مدخل إلى سيميائيات ش، س، بورس)، مؤسسة تحديث الفكر العربي بيروت، لبنان، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء المغرب، ط1، 2010.
23. سعيد بنكراد، سيرورات التأويل (من الهرمسية إلى السيميائيات)، دار الأمان، الرباط، المغرب، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة، الجزائر، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ط 1، 2012.
24. شايف عكاشة، مدخل إلى علم الشعر المعاصر في الجزائر (قراءة مفتاحية منهج تطبيقي)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1988.
25. صلاح فضل، نظرية البنائية في النقد الأدبي، ط1، دار الشروق، القاهرة، 1998م.
26. عبد الوهاب جعفر، البنيوية بين العلم والفلسفة عند ميشيل فوكوه، دط، دار المعارف، دب: 1989م.
27. عبد العزيز حمودة، المرايا المحدبة، من البنيوية إلى التفكيك، عالم المعرفة، العدد 232، دط، الكويت.
28. عبد الوهاب جعفر، البنيوية في الأنثروبولوجيا وموقف سارتر منها، دط، دار المعارف، دب، 1989 م.
29. عز الدين المناصرة، علم الشعريات (قراءة مونتاجية في أدبية الأدب)، ط1، مجدلاوي، عمان، 2006 م.
30. العربي دحو، دراسات وبحوث في الأدب الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1991.

31. عبد الحميد هيمة، البنيات الأسلوبية في الشعر الجزائري المعاصر (شعر الشباب نموذجاً)، مطبعة هومة، الجزائر، ط1، 1998.
32. عبد الملك مرتاض، نظرية النص الأدبي، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 2010.
33. عبد القادر رابحي، النص والتقعيد (دراسة في البنية الشكلية للشعر الجزائري المعاصر إيدولوجية النص الشعري)، ج1، دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر.
34. عبد الملك مرتاض، التحليل السيميائي للخطاب الشعري (تحليل بالإجراء المستوياتي لقصيدة تتاشيل ابنة الحلبي)، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 2005.
35. فؤاد أبو منصور، النقد البنيوي الحديث بين لبنان وأوريا، دار الجيل، بيروت، 1985.
36. فرديناند دي سوسير، محاضرات في الألسنية العامة، تعريب: صالح القرمادي وآخرون، الدار العربية للكتاب، ط، 1985.
37. فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، الدار العربية للعلوم، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2010.
38. أبو قاسم جار الله محمود بن أحمد الزمخشري، أساس البلاغة، تحقيق محمد باسل، ج1، ط، عيون السود ناشرون، بيروت.
39. كلود لفي شتراوس، الأنثروبولوجيا البنيوية، تر: مصطفى صالح، ط، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق: 1977م.
40. ابن منظور، لسان العرب، ط3، دار صادر بيروت، لبنان، 2004.
41. مولاي علي بوخاتم، الدرس السيميائي المغاربي (دراسة و صفية نقدية إحصائية في نموذجي عبد المالك مرتاض ومحمد مفتاح)، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، ط1، 2005.
42. ميشال فوكو: جينالوجيا المعرفة، ترجمة: أحمد السطاتي، وعبد السلام بن عبد المالي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2008.

43. محمد مكاي، الخطاب النقدي العربي (من النقد إلى نقد النقد) دراسات أدبية، مركز البصيرة، الجزائر، فيفري 2010، ع 05 .
44. محمد ساري، البحث عن النقد الجديد، دار الحداثة، بيروت، لبنان، ط1، 1984.
45. محمد عزام، تحليل الخطاب الأدبي على ضوء المناهج النقدية الحداثية (دراسة في نقد النقد)، منشورات إتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، ط1، 2003.
46. ميجان الرويلي، سعد البازعي، دليل الناقد الأدبي، ط3، الناشر الدار البيضاء، المغرب 2002م.
47. محمد مجدي الجزيري، البنيوية والعولمة في فكر كلود ليفي شتراوس، ط3، دار الحضارة للطباعة والنشر والتوزيع، دب: 1999م.
48. محمد عزام، تحليل الخطاب الأدبي على ضوء المناهج النقدية الحداثية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2003.
49. ميجان الرويلي وسعد البازعي، دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط5، 2007.
50. معجب الزهراني، في المقاربة السيميائية، علامات في النقد الأدبي، مج1، ع2، ديسمبر 1991، نقلا عن: ميجان الرويلي وسعد البازعي، دليل الناقد الأدبي.
51. محمد نظيف، ماهي السيميولوجيا، دار إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1994.
52. ميشال آريفيه، السيميائية أصولها وقواعدها، تر: رشيد بن مالك، منشورات الاختلاف.
53. محمد مفتاح، مفاهيم موسعة للنظرية الشعرية (اللغة-الموسيقى-الحركة) نظريات وأنساق المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ج2، ط1، 2010.
54. محمد مرتاض، الموضوعاتية في شعر الطفولة الجزائري (عند: الغماري-ناصر حرز الله -مسعودي)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1993.

55. محمد صابر عبيد، سيمياء الخطاب الشعري من التشكيل إلى التأويل (قراءات في قصائد من بلاد النرجس)، دار المجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2010.
56. يوسف وغليسي، الخطاب النقدي عند عبد المالك مرتاض (بحث في المنهج و إشكالياته)، إصدارات رابطة إبداع الثقافية، الجزائر، 2002.
57. يوسف وغليسي، مناهج النقد الأدبي، جسور للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2010.
58. يوسف وغليسي، النقد الجزائري المعاصر من "اللانسونية" إلى "الألسنية"، إصدارات رابطة إبداع الثقافية الجزائر، 2002.

المصادر والمراجع بالاجنبية:

Cloud –Levi–Strauss: Tristes Tooiques, plon, 1955. -1

رسائل جامعية:

- 1- مريم خرمازة، ملامح النقد الحدائي في الجزائر بين النظرية والتطبيق، مذكرة ماجستير، مخطوط، جامعة وهران، 2001.

مؤتمرات:

- 1- محروس محمد القللي، البنيوية التكوينية للوسيان جودمان بين الممارسة والمرجعية ضمن كتاب (المرجعيات في النقد والأدب)، مؤتمر النقد الدولي الثالث عشر، من 27الي 29 تموز 2010، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2011.
- 2- مها خير بك ناصر، "الخطاب" دورية أكاديمية محكمة تعنى بالدراسات والبحوث العلمية في اللغة والأدب، دار الأمل، العدد الثاني، ماي 2007 م
- 3- محمد إقبال عروي (مقال) السيميائيات وتحليلها لظاهرة الترادف في اللغة والتفسير، مجلة عالم الفكر، الكويت، مج26، ع3، دت.

المواقع الإلكترونية:

1- السيرة العلمية المختصرة لأحمد يوسف، .www.squ.edu.com



فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

إهداء

شكر وعران

المقدمة	ا.ب.ج
مدخل	4- 14
الفصل الأول: المنهج البنيوي تنظيرا وتطبيقا	15- 56
المبحث الأول: المنهج البنيوي تنظيرا		
المطلب الأول: مفهوم ونشأة البنيوية	16- 23
المطلب الثاني: أعلام البنيوية	24- 28
المطلب الثالث: اتجاهات البنيوية	29- 38
المبحث الثاني: المنهج البنيوي عند الناقد على مستوى التطبيق		
المطلب الأول: المنطلقات المنهجية للناقد	39- 43
المطلب الثاني: الإجراء النقدي	44- 56
الفصل الثاني: المنهج السيميائي تنظيرا وتطبيقا	59- 92
المبحث الأول: المنهج السيميائي تنظيرا		
المطلب الأول: مفهوم ونشأة السيميائية	60- 70
المطلب الثاني: أعلام السيميائية	71- 72
المطلب الثالث: اتجاهات ومدارس السيميائية	73- 76
المبحث الثاني: المنهج السيميائي عند الناقد على مستوى التطبيق		
المطلب الأول: المنطلقات المنهجية للناقد	77- 78
المطلب الثاني: الإجراء النقدي	79- 88
المطلب الثالث: المصطلح النقدي عند أحمد يوسف	89- 92

96-93الملاحق:
99-97الخاتمة:
107-100فهرس المصادر والمراجع.
	فهرس الموضوعات
	ملخص

ملخص

ملخص:

يهدف هذا البحث والموسوم "بالمنهج النقدي عند أحمد يوسف" إلى الكشف عن طبيعة الرؤية النقدية للناقد وبما تميزت به تجربته النقدية، ولأجل ذلك مهدنا للبحث بمدخل يوضح واقع النقد الحدائبي في الجزائر، ومنه تطرقنا في الفصل الأول الذي تناولنا فيه نظرة حول العملية النقدية للنص الأدبي الحديث والذي تناولنا فيه مبحثين ذاكرين أهم جوانب المنهج البنيوي والمنهج السيميائي من: (مفهوم والنشأة، أهم الأعلام، والاتجاهات). وفي الفصل الثاني تناولنا المنهج البنيوي على مستوى التطبيق وتطرقنا فيه للمنطلقات المنهجية للناقد والإجراء النقدي، أما المنهج السيميائي على مستوى التطبيق والذي استفاد الناقد منه لتحليل النصوص الشعرية الجزائرية المعاصرة، وذلك من خلال توظيفه لأدوات إجرائية والمتمثلة في: ثلاثية العلامة عند بيرس والتناص وجمالية الفراغ الباني والمربع السيميائي حيث ابرز بعض خفايا هذه النصوص التي لم يتسن لها قراءات نسقية من قبل، لنختتم البحث بأهم ما تميز به المنهج النقدي عند أحمد يوسف.

الكلمات المفتاحية: المنهج السيميائي - المنهج البنيوي - النص الشعري الجزائري المعاصر - أحمد يوسف - جمالية الفراغ الباني - المربع السيميائي.

Résumé :

L'objectif de cette recherche intitulée « méthodologie critique de AHMED YUCEF » est la détermination de la maturité de sa vision critique ainsi que son expérience en matière de critique, pour cela nous avons introduit un préliminaire du critique moderne en Algérie.

Le premier chapitre de notre recherche est le processus critique du texte moderne de littérature, divisé en deux sections, la première concerne la méthodologie structurale et sémiotique tel que la définition, l'histoire, experts et différents orientateurs.

La deuxième partie est consacrée à la méthodologie structurale au niveau pratique, ou la méthodologie sémiotique au niveau pratique utilisé pour l'analyse du texte de la poésie Algérienne moderne, en utilisant les outils tel que le triple mécanisme sémiotique chez PEIRCE et tenessalle, l'intertextualité, le blanc typographique en écriture poétique et le carré sémiotique, par lesquels il a repéré certains aspects cachés dans ce genre textuel que la lecture systématique n'a pas pu dévoiler.

Nous avons sceller sa recherche la plus importante et son approche critique.

Mots clés :

Approche sémiotique - Approche structurale - le texte poétique contemporaine algérienne - AHMED YUCEF - le blanc typographique en écriture poétique - le carré sémiotique.